الدكتور مصطفى السباعي

مُقدِّماتُ حضارة الإسلام



دار ابن حزم

مُقدِّماتُ
حضارة الإسلام

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
طبع بإذن خطي من ورثة المؤلف

١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م

ISBN 978-9953-81-870-2

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



بيروت: تلفاكس: 701974 (9611+) - ص.ب: 14/6380
الرياض: هاتف: 4162527 (9661+) - ص.ب: 250641 الرمز 11391
دمشق: هاتف: 2230914 (96311+) - ص.ب: 7603

E.mail:msibaie@hotmail.com

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

الدكتور مصطفى السباعي

مُقدِّمات حَضارة الإسلام



دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

فهذا الكتاب عبارة عن مجموعة الافتتاحيات التي كتبها الدكتور مصطفى السباعي في مجلته، **«حضارة الإسلام»**، والتي أسسها وأشرف عليها، وأعطاها من جهده وعقله ووقته ما جعلها من المجلات الرائدة في تاريخ الدعوة الإسلامية في بلاد الشام. وكان اهتمامه رحمه الله تعالى بالجانب الإعلامي بالدعوة كبيراً إلى حد جعل من هذه المجلة منبراً حراً يخاطب من خلالها الأمة الإسلامية، ومؤرخاً لأحداثٍ كبيرة مرت عليه، فلم يترك مناسبة أو حدثاً إلا وكتب عنه فكانت معبرة عن آلامه وآماله، وحرص حرصاً كبيراً على استمرارية هذه المجلة رغم الأعباء الكبيرة الملقاة عليه، والمسؤوليات الجمة التي كان يتولاها رحمه الله. وأبى أثناء مرضه الذي استمر أكثر من خمس سنوات إلا وإعطاءها الأولية، فظل يكتب بها ويرأس تحريرها، حتى قبل وفاته بأيام، رحمه الله تعالى وأجزل

مثوبته، فاستمر هذا العمل الإعلامي المؤثر في تاريخ الدعوة في بلاد الشام، والعالم الإسلامي، حتى منتصف الثمانينات حتى توقفت لظروف خاصة؛ أي: بعد وفاته بأكثر من عشرين سنة.

واليوم ونحن نقدم للقارئ الكريم هذه الافتتاحيات، حرصاً منا على جمع كافة أعمال الدكتور السباعي رحمه الله. لما نجد فيها من فائدة كبيرة كونها معبرة عن تاريخ حقبة مهمة من تاريخ بلادنا، وحرصاً منا على أن نجمع كافة أعماله في المستقبل بموسوعة شاملة إن شاء الله تعالى.

ولا يسعنا في هذا المقام، إلا أن نقدم جزيل الشكر والعرفان إلى الأخ الفاضل مجد أحمد مكي، الذي تولى جمع هذه المقالات وتصحيحها مساهمة منه، جزاه الله خيراً في إخراج هذا العمل.

ونرجو من الله تعالى، أن يجعل الفائدة من هذا الكتاب في ميزان حسنات الكاتب رحمه الله، ويجزيه عنا وعن الأمة الإسلامية كل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الناشر

١٧ شعبان ١٤٢٠هـ

المجلة في عامها الجديد[1]

تعيش أمتنا في عهد جديد تتطلع فيه إلى آفاق حضارية جديدة، تتسم بالذاتية والاستقلال والكرامة، وإذا كانت نسمات الحرية قد هبت على جميع شعوب الشرق فأيقظتها من غفلتها، وبعثت فيها حنيناً إلى حياة الاستقلال والنهوض، فإن أمتنا لا تمتلكها هذه الروح من جديد لأول مرة في تاريخها الطويل، ولا تحاول أن «تجاري» الأمم الناهضة في تطلعها إلى الحرية، وعملها في سبيلها، بل إن لها تاريخاً حافلاً لعبت فيه دوراً حضارياً خالداً، ولها أياد بيضاء في تحرير الشعوب والسير بها نحو الحياة السعيدة الرغدة بخطى واسعة، فلا عجب إذا انبعثت فيها من جديد «روح الحضارة» تحث خطاها نحو البناء، وتدفعها حثيثاً نحو النور.

نحن أمة لها ماضٍ، وعندها تراث، وبين يديها بناء، وفي عقولها فلسفة ورسالة، وفي عيونها سناء ونور، وفي قلوبها إيمان ويقين، وفي أخلاقها نبل وشرف، وفي نفوسها تقى وصلاح، فلنا من بين هذه الأمم الناهضة كلها شأن غير شأنها، ومن ثمة كانت علينا واجبات أكبر من واجباتها.

---

(١) السنة الأولى، العدد ١ و٢: المحرم وصفر (١٣٨٠) = تموز وآب (١٩٦٠).

والأمم الغنية لا تستجدي بل تعطي، والأمم البصيرة لا تُقاد بل تقود، والأمم القوية لا تُدفع بل تَدفع، والأمم المفكرة لا تهدم بل تبني.

والقوى الموجبة تعمل ولا تفر، وحملة الرسالات يوجِّهون ولا يوجَّهون، ورافعو المشاعل يضيؤون ولا يطفؤون الأنوار!..

وإذا كنا أمة حضارية قد أسهمنا في بناء الصرح الحضاري بأنظف يد، وأكمل عقل، وأسلم قلب، وأكرم خلق، وأقوى مادة، فإن تراثنا الحضاري، لا يزال حياً تحتاج إليه هذه الإنسانية التي تعيش اليوم قلقة معذبة: تطعم وهي تشكو الجوع، وتشرب وهي تعاني الظمأ، وتدل على السعادة وهي تتيه في الشقاء، وتتعرف إلى الصحة وهي تئن من وطأة المرض!..

وتراثنا الحضاري الحي متنوع فيه اللذة والغناء، والقوة والصفاء، ولكنه يشكو الإهمال والإعراض، وينتظر من ينصفه من أبنائه كما بدأ ينصفه بعض أعدائه، وأجدر وقت بإحيائه وإنصافه هو هذا الوقت الذي تثب فيه أمتنا في خطوة ما لم تكن تثبه قبل قليل بعشرات الخطى، وتبني في ساعة ما كانت لا تقيم صرحه بعشرات السنين، وأجدر الأجيال بحمل هذا التراث وحمل أعبائه الجسام هو هذا الجيل الذي أدرك قيمة ذاته، وحمل من أعباء المجد ما لم يحمل غيره من عشرات

الأجيال، والذي أجبر العالم على أن ينظر إليه نظر الاحترام بعد أن ظل مئات السنين لا ينظر إليه إلا نظر الازدراء والإهمال. . .

من أجل هذا كله، قررت مجلتنا أن تسهم في بناء مجدنا الحضاري الحديث، بعرض الصورة الحية المثيرة المفيدة من تراثنا الحضاري وتفكيرنا العلمي، وأن يكون اسمها بعد الآن «**حضارة الإسلام**» بدلاً من «**المسلمون**» وأن تكون منوعة المادة غزيرة الفائدة؛ كغزارة الفكر التي تحملها، والبناء الذي تسهم فيه، وأن تستكتب من أقطاب العلم، وأساطين الفكر، وأعلام الأدب، ما يتفق مع عظمة الرسالة التي تحملها والغاية التي تهدف إليها.

وهذا الجزء الأول من عامنا الجديد، لن يكون مثالاً لما نريد من تجديد في المادة وتنوع في الأبحاث وتعدد في الثقافة، فقد اضطرتنا ظروف قاهرة إلى إخراجه بهذا الشكل الموجز، على أن نبدأ منذ العدد القادم بحول الله بإخراج المجلة كما نحب ويتفق مع منهجها الجديد.

ونريد أن نؤكد لقرائنا الأعزاء أننا لا نزال نعتبر مهمة المجلة الرئيسية هي التوجيه الصادق السليم، نحو بناء ثقافي مستقيم، ثابت غير منحرف، جميل غير مشوه، قوي غير مضطرب، نستلهمه من عقيدة هذه الأمة وتراثها الغني العظيم، ورسالتها التي كانت رحمة للعالمين.

وهذا عهد نريد أن نجدده لقرائنا في مستهل العام الجديد لمجلتهم التي منحوها حبهم وتأييدهم، وهي تنتظر منهم في ثوبها الجديد، المزيد من ذلك الحب والتأييد.

ومن الله نستمد العون والهداية، وعلى هدي رسوله محمد ﷺ نسير، وإلى خير أمتنا نسعى، وفي سبيل الله نحيا، ولرضاه وثوابه نعمل، وهو أرحم الراحمين.



في ذكرى ميلاد الرسول العظيم[1]

تُطل على العرب والمسلمين والعالم كله ذكرى مولد الرسول العظيم محمد ﷺ وهم في أشد الحاجة إلى دروس هذه الذكرى وما فيه من عبر بالغات.

إن أحداً لا يعرف فضل الرسول العظيم على العرب والعالم إلا إذا عاش بعقله ونفسه في تلك الحقبة التي ولد وبعث فيها رسول الله ﷺ، وأحاط بها ما كان عليه الناس من عقائد، والشعوب من أوضاع، والعرب خاصة من عادات وتقاليد، ثم عاش مرة أخرى بعقله وروحه مع رسول الله ﷺ في شمائله وأخلاقه، وشخصيته وروحانيته، ومع شريعته في قرآنها وسنتها يبحث بحث المحب المخلص في أسس هذه الشريعة وعقائدها وفلسفتها ونظمها وآدابها، وبذلك فحسب يتجلى له فضل الرسول وخلوده وجدارته التي هيأه الله بها لتكون نبوته خاتمة النبوات، وتكون شريعته خاتمة الشرائع، ويكون هو شخصه خاتم رسل الله وأنبيائه.

وجمهور المسلمين اليوم ـ وإن كانوا يحتفلون كل عام بذكرى مولده ـ محجوبون عن التعرف إلى هذه الحقائق، بالفهم

---

(١) السنة الأولى، العدد الثالث: ربيع الأول (١٣٨٠) = أيلول (١٩٦٠).

لدينهم الذي ولدوا في أجوائه، كما يألف صاحب البيت بيته الذي ولد فيه، وكما تطول صحبة الولد الغافل لأبيه العظيم، مما صرفهم عن إدامة النظر والبحث في أثر الرسالة الإسلامية في تاريخ العالم، وأثر الرسول ﷺ في تاريخ الحضارات، وأثر ثورة الإسلام في تحرير الإنسان تحريراً لم تدانه ثورة في القديم، ولم تشابهه ثورة في الحديث، ولن تلحق به ثورة يقوم بها أي عظيم في التاريخ، مهما تتجمع له من صفات العبقرية والإلهام، وأسباب الفوز والنجاح.

نحن المسلمين مدينون لرسول الله ﷺ في نجاتنا من الوثنية المظلمة التي لا يزال يعيش فيها آلاف الملايين من البشر، رضوا لأنفسهم أن يختلفوا بعقولهم عن ركب التفكير العقلي الحضاري، ويعيشوا كما كان يعيش ويفكر الإنسان البدائي قبل عشرات الألوف من السنين.

ومدينون لرسول الله ﷺ في نجاتنا من الوحدانية المشوهة القلقة التي لا تلتقي مع طمأنينة العقل وسكَن الضمير.

ومدينون لرسول الله ﷺ إذ أنجانا من الجهالة القاتلة، وجعلنا حملة لواء العلم والمعرفة في العالم عشرة قرون، كانت فيها لغتنا لغة العلم، ومعاهدنا جامعاته، وكتبنا مصادره وموسوعاته.

ومدينون لرسول الله ﷺ في نجاتنا من الأمراض الخلقية والنفسية والصحية التي تفتك بمجتمعات بالغة الذروة في الرقي

المادي والتقدم الحضاري، وقد بدأت تفتك بنا مذ جهلنا فضل رسول الله علينا في النجاة من تلك المهلكات.

ونحن العرب مدينون لرسول الله ﷺ بوحدة لغتنا التي نتكلم بها - مائة مليون من الناس - لساناً واحداً وبياناً واحداً.

ومدينون لرسول الله ﷺ بامتداد وطننا من شواطئ المحيط الأطلسي، إلى الخليج العربي، إلى جبال طوروس، وطناً جمع من أسباب القوة والثروة والجمال ما لم يجمعه وطن على ظهر الأرض.

ومدينون لرسول الله ﷺ بوحدة أمتنا وحدة كاملة في الهدف والشعور والأمل والألم على تعدد أقطارها وبيئاتها المحلية، وحدة لم تجتمع لشعب من شعوب الأرض بهذا المظهر الإنساني الرائع.

نحن العرب مدينون لرسول الله ﷺ بأننا طرقنا أبواب رومة، واقتربنا من مشارف باريس، وهددنا أسوار ڤينا، وجعلنا البحر المتوسط بحراً عربياً، وخَطَطْنا في أسفار الخلود صفحاتٍ لأمم سبقتنا في الحضارات، وقدمنا إلى الإنسانية من العظماء الخالدين قوافل لا يحصيهم العد، لم تشوه عظمتهم الإنسانية الخالدة ما شوه عظمة غيرهم من عظماء الأمم خلقاً أو سيرة أو طغياناً أو إفساداً وتهديماً.

ونحن العرب مدينون في حاضرنا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فنهضتنا قد جعل الرسول ﷺ دعائمها جزءاً من

عقيدتنا لا يتم إيمان المؤمن إلا بالعمل لها، ووحدتنا قد ركز مقوماتها في مجتمعنا بحيث غدت حلماً لجماهيرنا لا يقف في طريقها إلا الاستعماريون وعملاؤهم، وقوتنا هي ثمرة الجهاد الذي أوجبه علينا وجعله طريقنا إلى الجنة والخلود، وقيادة الأمم هي رسالتنا التي حمَّلنا أعباءها لنكون الأمناء على الحق والخير في الوجود الإنساني... هذه هي عناصر انبعاثنا الجديد قد هيأها محمد رسول الله ﷺ لكل زعيم يحمل اللواء من بعده، فأزاح عن كاهله عبء الدخول معنا في معركة الإقناع بها والتبني لها، من حيث فرغه لعبء الدخول في المعركة الحاسمة مع أعدائها من مستعمرين ومغتصبين وطامعين...

نحن العرب والمسلمين مدينون لرسول الله ﷺ دَيناً لا نستطيع نكرانه وجحوده، فإن يكن بيننا منكر أو جاحد، فبحسب كل عربي صادق وكل مسلم مخلص، أن يعاهده - في ذكرى مولده - بأن يكون له من الأوفياء المخلصين، فسلامٌ عليه يوم قاد آباءنا في معارك الفتح المبين، وسلام عليه إذ يقودنا اليوم في معارك الحرية والكرامة على طريق مستقيم، وسلام على خلفائه وأوليائه الأولين والآخرين، وسلام عليه حين يلقونه في جنات النعيم.

❀ ❀
❀

الإسلام والحضارة[1]

لم تكن حالة العالم في التردي الأخلاقي واتساع نطاق الحروب والشرور، يوم بعث محمد ﷺ برسالة الإسلام، أسوأ مما عليه العالم اليوم من فتن تقض مضاجع الآمنين، وفساد اجتماعي وأخلاقي ينفي الطمأنينة والسعادة النفسية عن مئات ملايين البشر من المتمدنين، ومن جوع ومرض وتخلُّف اجتماعي يعيش فيه مئات الملايين من الضعفاء والغافلين.

ولكن الإسلام بعد بضعة عشر عاماً من قيامه استطاع أن يحقق المعجزة الكبرى التي لم يقع مثلها في التاريخ، تلك هي إحداث ذلك الانقلاب الشامل في عقائد الناس وأخلاقهم وأوضاعهم الاجتماعية المتردية، وقيام تلك الحضارة التي لا يزال التاريخ يجري وراء أخبارها ملهوثاً مبهوراً من عظمتها وروعتها الإنسانية النبيلة الكريمة.

وفي غمار هذا الظلام الشامل الذي تعيشه البشرية اليوم، في إطار من النور المصطنع، والتقدم العلمي الذي استغله صانعو الحروب ليكون أداة خراب ودمار للقيم الإنسانية ومثلها العليا واطمئنانها الروحي، ينبغي أن نتساءل: لماذا لا يتقدم

---

(١) السنة الأولى، العدد الرابع: ربيع الثاني (١٣٨٠) = تشرين أول (١٩٦٠).

الإسلام اليوم ليلعب دوره العظيم في إنقاذ الإنسانية من شقائها الحاضر الأسود، ودمارها الشامل المرتقب؟

قد يكون ذلك ممكناً، بل ليس من سبيل للإنقاذ سواه، لولا عائقان اثنان:

أولهما: المفهوم المؤلم الخاطئ الذي انتهى إليه الإسلام كعقيدة ونظام.

ثانيهما: الواقع المتخلف الذي تعيش فيه شعوب الإسلام ودوله كمجتمعات ودول ذات قيمة محدودة بين المجتمعات والدول التي تحمل لواء حضارة اليوم.

أ ـ أما مفهوم الإسلام فإنه بما تراكم عليه من غبار القرون التي غطَّاها، وأوهام الشعوب التي اعتنقته، ومؤامرات الخصوم الذين ما يزالون يناصبونه العداء، لم يعُد له ذلك المفهوم الإعجازي الذي يخلق الحضارات، ويبدد من المجتمعات الإنسانية سحب الظلمات.

إن للإسلام اليوم مفهومه «**الصوفي**» الذي نأى عن صفاء العقيدة، وتفتُّح العقل، وصُنْع الحياة كما يريدها الأنبياء والمصلحون والحكماء، إلى مفهوم «**التماوت**» والفرار من الحياة، والشِّرك المقنَّع، والعقل المغلق، والزهد المصطنع الذي يحوي في برديه أبشع صور التكالب على المادة واللذة والجاه واستغلال السذَّج والبسطاء.

وللإسلام اليوم مفهوم «**العامي**» الذي اقتصر به على

شكليات العبادة دون روحها وإشراقها، وعلى «ادعاء» الأخلاق الكريمة دون التحلي بها والخضوع لمقاييسها، وعلى «الانعزالية» النفسية. فلا يحس المسلم بما حوله من «مشكلات» حضارية أو اجتماعية، وإنما يحسُّ بما في نفسه من «شهوات» جنسية أو معاشية.

وللإسلام اليوم مفهومه **«الرسمي»** الذي يتظاهر به أو يدعيه بعض الملوك والأمراء والمتسلطين، على أنه خطاب يمدح فيه الإسلام، وصلاة تحشد لها الجنود والصحف والإذاعات، وصيام تمد فيه الموائد للكبراء والمتخمين والمفطرين. ومن وراء ذلك منكرات يتندى لها الجبين، وظلم اجتماعي تموت فيه (الملايين) جوعاً وبؤساً، من حيث تنفق فيه الملايين عربدة ومجوناً!

وللإسلام اليوم مفهومه **«الاستعماري»** الذي تستغله الدول الاستعمارية لإخفاء جرائمها في حق الشعوب المسلمة التي تحكمها، كما ادعت فرنسا يوماً ما أنها «دولة إسلامية» لأنها «بَنَتْ» جامعاً في باريس، من حيث «تهدِّم» كيان شعبٍ في الجزائر، وتقوم بدور «الجزار» الذي استلذ رؤية الضحايا مُجَنْدلة بالدماء بين يديه، واستمرأ طعم ما «يقنص» من مال وأرض وثروة ولغة ودين وحق في الحياة والكرامة..

تلك هي المفاهيم السائدة للإسلام في عالم الإسلام وشعوبه اليوم.

أما الإسلام الذي هو:

«**وحدانية**» من أصفى عقائد التوحيد وأكملها وأروعها نقاءاً.

«**وعقل**» من أنضج العقول وأوعاها للعلم وأكثرها للحضارات بِنَاءاً.

و«**روح**» من أشرف ما تتصف به الروح علواً وسمواً وعملاً في الحياة بنَّاءاً.

و«**خلق**» من أنبل ما تعرفه الأخلاق سماحةً ورحمةً وثورة على الظلم وإباءاً.

و«**تعاون**» من أروع صور التعاون الاشتراكي عدالة وحباً وإخاءاً.

أما هذا المفهوم للإسلام، وهو الذي جاء به محمد ﷺ وأقام به حضارته الخالدة، فهذا ما لم يعُدْ معروفاً إلا عند أفراد متناثرين هنا وهناك، إن كانوا يتكاثرون يوماً بعد يوم، فإنهم الآن أبعد وأضعف ما يكونون عن تقدم الركب لإنشاء الحضارة المرتقبة المنقذة.

ب ـ وأما الواقع الذي تعيش فيه شعوب الإسلام ودوله، فلئن كان آخذاً في نفض غبار الماضي، متقدماً نحو واقع أفضل، وحياة أكمل وفجر مشرق بالنور والأمل، فإن دنيا الأقوياء الأشقياء، والمستعمرين المنهزمين، لا تزال تحفل

بالكيد والدس ووضع العقبات، حتى لا نتسلم من أيديهم اللواء، يفضلون أن يموتوا ونموت نحن معهم، على أن نعيش ويعشوا بنا. ولن يتم لهم ما يريدون؛ لأن إرادة الله في إنقاذ البشرية أقوى من إرادتهم في تهديمها ودمارها.

إن لتاريخ الحضارات وقيامها وسقوطها سنناً لا تتخلف، وأسباباً لا تضطرب، ومن سنن الله أن يمكّن لعباده الصالحين لخلافته في الأرض، ويأخذ المفسدين بعذاب إن لم يكن ناراً تحرق، أو صاعقة تدمر، فإنه انهيار يعفي الآثار، وعمى للبصائر يهدم الطريف والتالد من الفَخار، ويلحق بالأحياء منهم والموتى وصمة الهوان والعار.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)﴾.

❀ ❀
❀

الثورة التي ستغيّر مجرى التّاريخ[1]

لم تعرف دنيا العرب والإسلام في عصرنا الحديث، ولا دنيا الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها، نضالاً أروع ولا أخلد ولا أدهش من نضال شعب الجزائر في سبيل انتزاع حريته واستقلاله من فرنسا أبشع دول الاستعمار حقداً وحماقة ولؤماً وخسة.

إن عهدنا بالثورات ـ كما حدث في الثورة السورية عام ١٩٢٥ وكما حدث في غيرها ـ أن تخف حدتها بعد سنة أو سنتين من نشوبها، ثم تؤول غالباً إلى الفشل تجاه القوى الاستعمارية وأعداد جيوشها وقوة أسلحتها، ثم خبث دسائسها ومكرها للإيقاع بين رجال الثورة بعضهم ببعض، أو بينهم وبين جمهور الشعب الأعزل الذي يؤيد الثورة بقلبه ولكنه يعجز عن حمل أعبائها الفادحة من تقتيل وتخريب وتشريد وإذلال.

ولكن الثورة الجزائرية التي انطلقت في ١ من تشرين الثاني ١٩٥٤ ما تزال بعد ست سنوات كاملة، شديدة الأوار، صلبة الإرادة، منسجمة القيادة، تلف الشعب كله، وتنتقل من نصر عسكري إلى نصر أدبي، حتى دخلت الآن عامها السابع

---

(١) السنة الأولى، العددان ٥ و٦: جمادى الأولى والآخرة (١٣٨٠) = ت٢ وك١ (١٩٦٠).

وقد جعلت من جيش فرنسا المستعمرة أضحوكة بين الجيوش، ومن قضية الجزائر العادلة حديث الشعوب قاطبة، تنتزع منهم الإعجاب والتأييد، بل تجعل من شعب فرنسا نفسه ـ وهو الذي ظل ست سنوات يؤيد حكوماتها في أعمال الإجرام والتقتيل والإفناء الجماعي ـ يهب اليوم بمختلف فئاته المفكرة، وطلابه المتحمسين، وعماله الكادحين، ورجال دينه على اختلاف مللهم، ليطالب بإنهاء الحرب الجزائرية، وتخليص الفرنسيين أنفسهم من فظائعها وأهوالها، وأكلها لشبابهم واقتصادهم وكرامتهم وأمجادهم.

فما هو سر هذا النجاح الرائع للجزائريين، والإخفاق المشين للفرنسيين؟

أما إخواننا الجزائريون فهم من أمة سجلت أسفاراً من البطولات الخالدة منذ انبثق فجر الإسلام حتى عصرنا الحاضر، وما داموا عرباً مسلمين يدافعون عن حقهم في الكرامة والسيادة، ولا سلطان على ضمائرهم ولا موجه لأفكارهم وإرادتهم إلا الإسلام، فلن ينتظر منهم العالم إلا هذه البطولات التي تكاد تلحق ببطولات الصدر الأول من أبناء الإسلام، والتي استطاعوا بها أن يغيروا وجه التاريخ..

وأما المستعمرون الفرنسيون فهم قوم كانوا يوماً ما أقوى دولة برية في أوروبا، ثم انحدروا إلى أن أصبحوا في الحرب العالمية الثانية ينفردون من بين جميع الدول التي اشتركت في

تلك الحرب، بأنهم لم يستطيعوا تسجيل صفحة واحدة من صفحات الشرف والبطولة والرجولة، ولم يستطيعوا أن ينهضوا إلا على أقدام حلفائهم، ومن هنا ركبهم هذا النقص المخجل، وخيل لرجالهم العسكريين المنهزمين في ميادين الدفاع عن وطنهم وشرف أمتهم، أنهم يستطيعون أن يسترجعوا بعض ما كان لهم من سمعة عسكرية تمتعوا بها فترة قصيرة من الزمن، بإظهار البطش والجبروت الوحشي في صراعهم مع الشعوب التي عاقبها الله بالخضوع لحكمهم على ما فرطوا في جنب الله من إعداد واستعداد، وظن هؤلاء العسكريون أنهم يستطيعون بواسطة حلفائهم مرة أخرى أن تظل لهم أمبراطورية، وأن تبقى لهم مستعمرات..

ولكن هيهات هيهات! إن الأمة التي حكمت على نفسها بأعمال أبنائها أن تنهار وتزول، لا يمكن لنفر مغرورين منتفخين بأوهام المجد الزائل ولو ساندتهم أقوى دول الأرض أن يوقفوا سقوطها، أو يردوا إليها الروح، بعد أن استسلمت للموت في ميادين الشرف خاسئة ذليلة كما فعلوا في الحربين العالميتين.

والتحليل النفسي الدقيق للشعب الفرنسي يثبت أنهم ما زالوا يحملون في طوايا نفوسهم ما كان يحمله آباؤهم في الحروب الصليبية من حقد على العرب وكره للإسلام، وقد كانوا يومئذ من أشد الجيوش الصليبية تكالباً على احتلال بلادنا والسيطرة عليها، ومن أشد الصليبيين وحشية وغدراً ونكثاً بالعهود، وابتعاداً عن روح المسيحية السمحة التي كانوا

يحملون شعاراتها غشاً وتضليلاً، واستغلالاً للدين في سبيل الجشع والعدوان وانتهاب أموال الشعوب وتبديل أمنها قلقاً، وسعادتها شقاءً، وعمرانها خراباً.

إن احتلال فرنسا للجزائر واستمرارها في الحرب العدوانية ضد شعب الجزائر، إنما هو استمرار للحروب الصليبية الاستعمارية التي شنها الغربيون علينا ظلماً في القرون الوسطى، وما زالوا مستمرين فيها حتى اليوم.

إني أعتقد أن الله ادخر لشعب الجزائر العربي المسلم من الشرف الخالد ما لم يكتب مثله لشعب عربي أو مسلم في عصورنا الأخيرة، وهو القضاء على دولة باغية فاجرة عرف تاريخها العسكري منذ أصبحت دولة لها وزن وشأن، بالغدر والخسة والظلم والتنكر لكل القيم والمبادئ الإنسانية. ولا شك عندنا في أن الخير كل الخير للعرب والمسلمين أن تزول مثل هذه الدولة الحقودة على العرب والمسلمين كدولة ذات قوة وسلطان، وأن الخير كل الخير للعالم الإنساني كله أن تزول مثل هذه الدولة كدولة استعمارية لا تعيش إلا على البغي والعدوان واللصوصية وإنكار الجميل. فوجودها قوية إنما هو عودة بالإنسانية إلى عصور الهمجية والحروب والمنازعات، وبقاؤها دولة من الدول الكبرى تأخير للإنسانية عن الوصول إلى عهد تسيطر فيه المثل العليا، ويعيش فيه الناس بأمن وسلام.

ودليلنا على ذلك أن أكثر الدول الاستعمارية بدأت تفكر ـ مكرهة ـ بالتخلي عن فكرة «الأمبراطوريات» وتتظاهر ـ ولو خداعاً ـ باعترافها بحق الشعوب المستعمرة في استقلالها وإدارة شؤونها بنفسها، إلا فرنسا فما زالت تفكر بعقلية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اللذين كانا العصر الذهبي للأمبراطوريات الاستعمارية وأحلامها وجرائمها.

أما بعد، فقد شاء الله أن تعود الفضائل العربية الإسلامية إلى الظهور بعد أن غابت عن مسرح الحياة بضعة قرون، وليست البطولات الجزائرية التي سطرتها الثورة الجزائرية القائمة إلا عنواناً لظهور هذه الفضائل، وإيذاناً بعودة شعبنا إلى حمل رسالته التحريرية الكبرى التي حملها أول مرة للعالم منذ أربعة عشر قرناً، ويومئذ يتغير وجه التاريخ وتتبدل معالم الطريق كما فعلت وثبتنا الأولى.

ولو أننا نحن العرب والمسلمين قدرنا حق التقدير الدور التاريخي الحضاري الذي يقوم به شعب الجزائر، واعتبرناه المرابط في خط النار الأول دفاعاً عن حرماتنا ومقدساتنا وعن المثل الإنسانية العليا التي نؤمن بها، واعتبرنا معركته مع فرنسا معركة العودة إلى أداء رسالتنا الإنسانية إلى العالم كله، لاستطعنا أن نتمتع بالفجر المشرق منذ سنين وأن نخلص الإنسانية من أكبر عوامل الشرور والحروب التي تهددها بالانقراض والدمار.

وما يزال أمامنا متسع لتدارك الأمر، وتقريب يوم النصر، بأخذنا نصيبنا كاملاً من دماء المعركة الدائرة في الجزائر ومن ضحاياها وشهدائها، ونفقاتها ودمارها بل من شرفها وخلودها وربحها وعملها الإنشائي العظيم، فهل نحن فاعلون؟



احذروا هذه المؤتمرات[1]

منذ اشتد الصراع بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، ودول الغرب تبذل كل جهدها لحملنا على الانحياز إليها والوقوف بجانبها في هذا الصراع.

ولما كانت شعوبنا الإسلامية، منها من لا يزال يئن تحت وطأة الاستعمار الغربي، ومنها من هو حديث عهد بأساليبه وجرائمه، فقد أخفقت الدعاية الغربية إخفاقاً ذريعاً في إقناع شعوبنا بالانحياز إلى الغرب، ونسيان ماضيه وجرائمه بحجة «الخطر الجديد». ولم يعلن انحيازه إليه إلا من مات ضمائرهم ومن يرتبط وجودهم وكيانهم ومصالحهم الدنيئة الخاصة بالمعسكر الغربي، فجندوا كل إمكانياتهم وجهودهم لخدمة أطماعه على حساب شعوبهم وكرامتها واستقلالها.

عندئذ لجأت العقلية الغربية الماكرة إلى تجنيد «الدين» لخدمة مآربها في هذا الصراع، فأخذت منذ أمد ليس بالبعيد تدعو إلى إيجاد «جبهة مسيحية إسلامية» ضد الخطر الشيوعي، واستعملت لذلك من رجال الدين الغربيين ومن المنتسبين إلى العلم في أوساط المسلمين، من أخذوا ينادون بإيجاد هذه

(١) السنة الأولى، العدد السابع: رجب (١٣٨٠) = كانون٢ (١٩٦١).

«الجبهة» كحرب صليبية جديدة ضد أعدائهم «الجُدد».

ولقد كان المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الذي انعقد في بحمدون (لبنان) عام ١٩٥٤ بدعوة من جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية مناسبة طيبة ليتعرف الواعون من دعاة الإسلام إلى حقيقة هذه الدعوة وأهدافها السياسية، وكان لهم موقف معروف من فضحها وكشفها على حقيقتها، وفضح المتعاملين معهم من بعض أدعياء الدين والعلم من المسلمين، ومع أن المؤتمر قد انبثقت عنه لجنة تنفيذية لمتابعة عقد دوراته كل سنتين في عاصمة من عواصم البلدان الإسلامية، فقد ولدت اللجنة ميتة، وبالرغم من محاولات الأمريكيين المستميتين في إنجاح هذه الفكرة أمثال القس «هوبكنز» لبعث الحياة فيها فقد خابت آمالهم وعادوا بخفي حنين!..

واليوم تطالعنا الصحف بتجديد المحاولات الغربية الرامية إلى إنشاء تكتل «ديني» باسم الإسلام والمسيحية ضد الشيوعية، مما يدل على أن الاستعماريين الغربيين لا يزالون يحلمون بتحقيق هذه الفكرة، في غفلة من المسلمين واستهتار بوعيهم الذي بدت خطورته تكشف مقاتل الاستعمار في ديار العرب والمسلمين.

إن الإسلام والمسيحية يلتقيان في كثير من خطوات الخير والفضيلة والإيمان بالله، ونحن المسلمين والمسيحيين ـ العرب والشرقيين ـ لم نكن يوماً ما في حاجة إلى ما يدعونا إلى

التعاون على محاربة «الإلحاد» ما دامت ديانتانا قائمتين على أساس الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، بل إننا عشنا متعاونين على هذا الهدف في ظل الحضارة الإسلامية الزاهرة، لم يعكر صفو هذا التعاون بيننا إلا يوم شنَّ الغربيون حملاتهم «الصليبية» الاستعمارية على بلادنا في القرون الوسطى، ولئن استطعنا أن ندحرهم بعد حروب دامت مائتي سنة، كلفتنا وكلفتهم أنهاراً من الدماء، وأجيالاً من الضحايا، وتركة مثقلة بالديون لم نتمكن من سدادها حتى اليوم، فإن حملاتهم الاستعمارية على بلادنا باسم «الدين» لم تنقطع بعد، وها هي حرب الجزائر التي تحاول فرنسا أن تصورها للعالم الغربي صراعاً بين الأوروبيين وبين المسلمين، ما زالت تدور رحاها الطاحنة المتواصلة منذ ست سنوات كاملة، وهي تفيض بمآسي المذابح والجرائم التي يرتكبها الاستعمار الفرنسي الوحشي ضد شعبنا المسالم في المدن والقرى، وآخرها المجازر الجماعية التي قامت بها القوات الفرنسية والمستوطنون الفرنسيون عند زيارة «ديغول» الأخيرة إلى الجزائر.

فماذا فعل الغربيون «المتدينون» إزاء هذه المأساة الإنسانية التي يبرأ منها السيد المسيح ويلعن مرتكبيها ومسببيها والراضين أو الساكتين عنها؟ إننا لم نسمع إلا في الأيام الأخيرة أن رجال الدين في فرنسا أعلنوا عن استنكارهم لاستمرار الحرب الجزائرية! وأغلب الظن أنهم فعلوا ذلك إشفاقاً منهم على فرنسا التي هدتها الحرب الجزائرية، وجعلت

سمعتها في الحضيض، وشرف جيشها على النعال، ومواردها الاقتصادية في انهيار، لا إشفاقاً منهم على مئات الألوف من ضحايا التعذيب الوحشي الذي يلقاه العزل من أبناء الجزائر، على يد الجيش الفرنسي المهزوم أمام أبطال الجزائر في ميادين الحروب ومعاركها، ولا دفاعاً عن مبادئ المسيح التي تحرم هذه الوحشية القذرة التي يقوم بها الفرنسيون في قطر عربي مسلم يدافع عن حقه في الحرية والحياة الكريمة.

لقد استيقظ الضمير «الديني» لدى الغربيين فجأة! . . ليدعونا إلى التعاون ضد الإلحاد الذي تنادي به الشيوعية. . . ومن حقنا أن نتساءل:

أين كان هذا الضمير عندما كان الاستعمار الغربي ولا يزال ينزل ضرباته الثقيلة على شعوب آسيا وأفريقيا، و«يسرق» ثرواتها وكرامتها ومقدراتها؟

أين كان هذا الضمير عندما تعاون الحلفاء الغربيون في الحرب العالمية الثانية مع روسيا الشيوعية حتى أحرزوا النصر على الألمان والطليان وهما شعبان مسيحيان لم يعلنا إلحادهما ولا كفرهما بالمسيح والمسيحية؟

أين كان هذا الضمير يوم اغتصبت إسرائيل فلسطين وشردت سكانها الأصليين، بمعونة هؤلاء الحلفاء، ولا تزال حكومات الغرب وشعوبه تعطف عليها وتمدها بأسباب القوة والبقاء؟

بل أين الضمير الآن بعد أنباء المجازر النكراء التي صبغت أرض الجزائر من جديد بدماء الشهداء الأبرياء؟

أكل هذا في نظر الضمير «الديني الغربي» لا يخالف الدين ولا يدعو إلى الاهتمام به؟ وإنما الذي يدعو إلى الاهتمام هو «الإلحاد» الروسي فقط، دون «الإلحاد» الغربي لا سيما إذا كان إنجليزياً أو فرنسياً أو أمريكياً؟..

إننا ضد الإلحاد، وضد الكفر بالله وبالديانات، لا لأن مصلحتنا المادية تحتم علينا أن نتخذ هذا الموقف كما يفعل الغرب اليوم، بل لأن مصلحتنا الإنسانية، وقيمنا الدينية والاجتماعية تحتم علينا ذلك، غير أننا من الوعي بحيث لا يخدعنا هؤلاء الغربيون من محاولة استغلالهم الدين مرة أخرى للقيام بحرب «صليبية» جديدة تنبعث عن نفس الأهداف والعوامل الاستعمارية التي حملتهم على حروبهم «الصليبية» ضدنا في القرون الوسطى!..

ومن أجل هذا نجد من واجبنا أن نقول للرأي العام الإسلامي والمسيحي في بلادنا، ولرجال العلم والدين ومؤسساتهما وخاصة الأزهر: احذروا الوقوع في الفخ «الناسك» فلقد آمنا بمبدأ الحياد في الميدان السياسي العالمي وقطفنا ثماره!..

احذروا هؤلاء «المترهبين» الجدد من أن يجروكم باسم «الدين» إلى تحقيق مصالحهم والإيذاء بمصالحكم!

احذروا هذه المؤتمرات التي تخفي وراءها أسوأ المؤامرات!...

❀ ❀
❀

محنة الإسلام[1]

كان العالم الإسلامي إلى نهاية الحرب العالمية الأولى مُثْخناً بالجراح، غارقاً في السبات، فاقد الروح، إلا ومضات تنبعث من هنا وهناك، لا تلفت نظراً، ولا تحيي أملاً، ولا تبعث حياة ولا نشوراً.

واليوم يعج العالم الإسلامي بالحياة والحركة، وتفيض جنباته بمعارك التحرر والتطور والإصلاح، حتى غدا في الميدان الدولي محور النشاط السياسي، ومثار خصومات الجشعين الحريصين على استغلال ثرواته، وهو واقف لهذه الخصومات موقف اليقظ الذي يأبى أن ينحاز إلى جانب من أولئك الفرقاء، أو يسلم رقبته إلى الجزارين مرة أخرى، أو يستنيم للوعود والعهود التي خُدع بها أمداً طويلاً، ذاق منها مرارة الهوان والحرمان، وإن فيما يجري اليوم في آسيا وأفريقيا من أحداث تهز العالم هزاً عنيفاً لمن أكبر دلائل الوعي ودق أبواب المستقبل لحياة أفضل وأكمل..

وبذلك يكون الإسلام اليوم في محنة تؤدي إلى نعمة، وحاضر ثائر يبشر بمستقبل زاهر.

---

(١) السنة الأولى، العدد الثامن: شعبان (١٣٨٠) = شباط (١٩٦١).

وإذا نظرنا إلى الأمر من وجهة أخرى، نرى الإسلام يعيش في محنة من داخله أكثر من أن تكون من خارجه، ومن بعض أبنائه أكثر من جموع أعدائه، ومن فريق من دعاته أكثر من المتربصين به..

ذلك أن بعض الذين وصلوا في غفلة من أمتهم ويقظة من الاستعمار إلى تقلد الأمور في بعض الشعوب العربية والإسلامية يقفون من حركات التحرر والانبعاث في شعوبهم موقف العداء والكيد، ويتآمرون مع أعداء أمتهم على كل ما يزيد من قيود الاستعمار والاستغلال في رقاب شعوبهم، ويبيعون بلادهم بيع الوكلاء اللصوص، دون أن تكون في قلوبهم خشية من الله تمنعهم من عصيانه، أو تكون لهم ضمائر تخجل من شعوبهم في حياتهم، وتحذر من لعنة التاريخ وعذاب الله بعد هلاكهم..

وبعض الذين يزعمون الدعوة إلى الإسلام، قد ابتلى منهم الإسلام بأطفال أغرار قصار النظر، صرعى الشهوات، يخدعهم عن صدق الجوهر كاذب المظهر، وينحرف بهم عن تفهم حقيقة المعركة التي يخوضها العالم الإسلامي اليوم، حقد شخصي دفين، أو هوى قاتل، أو مغنم حرموا منه، أو جاه أبعدوا عنه بسوء تصرفهم، وقلّة تبصرهم، ظانين أن الله لا يعلم المفسد من المصلح، ولا المسيء من المحسن، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور..

ولولا ما اتصفوا به مما ذكرنا من بعض خلائقهم، لما استجازوا أن يحاربوا الذين يعملون على تحرير العرب والمسلمين من أسار الاستعمار وأخطار الصهيونية، وهوان الضعف والاحتقار، حتى يملكوا القوة، ويطردوا المستعمر، ويقطعوا على اللص طريقه، ويكشفوا للعالم جرائمه.

لقد استجازوا باسم الإسلام أن يحاربوا هؤلاء القادة، وينضووا تحت لواء الخونة والفسقة والفجرة الذين يبدلون أحكام شريعة الله بجرأة لم يبلغها أعداء الله المستعمرون، ويستعدون الجيوش الأجنبية على بلادهم وأمتهم لاحتلالها وإذلالها من جديد، ويسالمون الصهيونية الباغية لتساند عروشهم، وتثبت أركان جرائمهم ووجودهم، ويقفون مع المعسكر الاستعماري الذي أذاق الإسلام والمسلمين شر أنواع المحن والبلايا، ويفاخرون بارتباطهم معه، ويعلنون عن تبعيتهم وولائهم له، ويمدون إليه أيديهم القذرة في هوان يترفع عنه «الشحاذون» و«الأفاقون»... يستجدون «الهبات» و«الإعانات» لينفقوها على لياليهم الحمراء، وأتباعهم النذلاء، وأنصارهم من أولئك الحمقى الخبثاء..

هذا النفر من الناس الذين ينسون أو يتناسون أن قضية الإسلام اليوم هي «الحرية» و«القوة» و«الوحدة» وأن كل عمل يؤدي إلى حرية المسلمين وقوتهم ووحدتهم هو عمل للإسلام نفسه؛ لأن الإسلام لا يقوم بغير المسلمين، فإذا تحرر المسلمون استطاع الإسلام بهم أن ينشر هدايته، ويحمي

عقيدته، ويصلح مجتمعه، ويعود إلى مثل سيرته الأولى: يضيء السبيل للضالين، ويبثُّ الطمأنينة في قلوب الحائرين، ويرد الكرامة والسعادة إلى الأشقياء والمستضعفين.

هؤلاء الذين ينسون أو يتناسون هذه الحقيقة التي لا يجهلها مسلم يفقه دينه، يقفون موقف العداء من قادة العرب والمسلمين إلى الحرية والقوة، كما يقفون من وراء الخونة والفجرة من رؤساء المسلمين ومسؤوليهم، يدعون لهم بالنصر، ويكيلون لهم المديح؛ لأنهم يتحدثون عن الإسلام في «خطبهم» و«إذاعاتهم» من حيث يهدمون حقيقة الإسلام التي لا يكون إسلاماً إلا بها في «أعمالهم» و«مواقفهم» فهل ترى هذا موقف أناس مسلمين يريدون عزة الإسلام وكرامة المسلمين؟.

والذين يحملهم الاختلاف مع قائد يريد أن يحرر أمته من الاستعمار والصهيونية، على أن يسيروا في ركاب خائن لا يخجل من إعلان ولائه لأعداء الله ورسوله، وتآمره معهم ضد حرية العرب والمسلمين، إن الذين يقفون هذين الموقفين الشائنين كاذبون في دعواهم حب الإسلام والعمل لمصلحته، ذلك لأن الله نهى عن موالاة الأعداء والركون إليهم، واعتبر المسلمين الذين يوالونهم محشورين في زمرتهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ فكيف إذا كانت موالاتهم تمكن لهم في رقاب المسلمين واستعمار بلادهم؟ والذين يخالفون قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فتحملهم العداوة على الحيف في الأحكام،

والانحراف في الحب والبغض، هم بعيدون عن التقوى ولو تظاهروا بالصلاح وتشدقوا بحب الإسلام، أفليست محنة الإسلام بهؤلاء أشد من محنته بأعدائه الظاهرين والصهاينة والمستعمرين؟.

بلى! ولكن الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه، وقد شاء للعرب والمسلمين أن يستيقظوا ويسيروا ويثوروا، فلن يصدهم «تهريج» المخادعين، ولا «أبواق» المنخدعين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون!.



عقدة النّقص[1]

الشعور بالضعف والنقص عقدة من العقد النفسية التي تؤثر على الفرد تأثيراً سيئاً في سلوكه الاجتماعي، وتؤثر على الأمة تأثيراً ضاراً في سيرها الحضاري، ولا يأتي الرجل بجلائل الأعمال إلا حين يكون واثقاً من نفسه، مطمئناً في سيره، مستيقناً من هدفه، ولا تخلد الأمة في التاريخ إلا حين تؤمن برسالتها، وتستوثق من صحة عقيدتها، وتندفع في طريق الحضارة تملأ نفوس أفرادها العزة، وتمتلئ أيديهم من القوة، ويتميزون على غيرهم بخلق عظيم، أو علم جليل، أو همة قعساء، أو رسالة نبيلة يحملونها إلى العالمين.

ومن المستحيل على أمة تشعر بالتخلف عمن جاورها، أو بالضعف عن مقاومة خصومها، أو بالمهانة من عقيدة تؤمن بها، أن تجاري ركب الحضارة، أو تفوز في ميدان كريم من ميادينها بالسبق، أو تدفع عن نفسها أذى الخصوم والأعداء، أو تفرض احترامها على الأقرباء والبعداء.

ومنذ أفقنا من رقدتنا في العصر الحديث، وفتحنا أعيننا على سلطان هذه الحضارة على بلادنا وسبقها لنا في مختلف

---

(١) السنة الأولى، العدد العاشر: شوال (١٣٨٠) = نيسان (١٩٦١).

الميادين، أصابتنا عقدة من العقد النفسية الخطيرة على كيان الأمم هي «عقدة النقص» فقد أصبحنا نعتقد أننا أضعف من الغربيين قوة وسلطاناً فلا سبيل إلى التحرر من نفوذهم، وأوهى منهم عقيدة ونظاماً فلا طريق إلا أن نسلك طريقهم، ونخضع لمقاييس حضارتهم وأخلاقها ما دمنا قد خضعنا لها في مبتكراتها ومخترعاتها، وكان لعقدة النقص هذه أثر كبير في تخلفنا الحضاري والفكري والسياسي والاجتماعي، وكانت كل محاولاتنا «العاطفية» للنهوض واللحاق بالأمم المتقدمة القوية، تتبدد كالهباء أمام الواقع المؤلم الذي نعيش فيه، حتى تخلصنا من «عقدة النقص» السياسي، فاستطعنا أن نطرد الاستعمار، ونحقق الاستقلال، ونلفت أنظار العالم إلينا، ونجعل الذين لا يزالون يحلمون باستمرار السيطرة علينا والاستغلال لشؤوننا، يحسبون لنا ألف حساب، ويُجمعون أمرهم شركاء وحلفاء للكيد بنا حتى لا نسرع في الوثبة، ولا نمضي قدماً في طريق الخلاص، وهذا هو الواقع الذي نحياه الآن: توثب من جانبنا، وتربص حذر من جانب أعدائنا، هم يحسبون أنهم قادرون على إيقاف سير القدر، ونحن نعتقد أن القدر قد أراد لنا أن نحطم القيد، ونبدأ مما وقفنا عنده منذ مئات السنين: طريق القوة والمجد والسيادة، وسنُغِذ السير في هذا الطريق حتى تتم إرادة الله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

كان حرياً بنا أن نتدبر نتائج الخلاص من «عقدة النقص» السياسي عندنا، وما جنيناه من ثمار سريعة النمو، شهية

المذاق، وأن يغرينا ذلك بالخلاص من «عقدة النقص» في الميادين الفكرية والاجتماعية، فنعيد النظر إلى عقيدتنا وتراثنا وإلى مبادئ الحضارة الغربية وتراثها، نظر الأمة القوية المتحررة مما فرض عليها في عصور الضعف من مقاييس وأفكار وثقافات واتجاهات، ويومئذ ننطلق في البناء انطلاق الحر يختار الأصلح له ولو لم يرق في أعين الناس، ويجتنب الأضر به ولو غرب فيه الناس جميعاً.

ولكنا لم نفعل ذلك حتى الآن، فلا يزال الجو الفكري عندنا مثقلاً بعقدة النقص، في كل ما نعالجه من مشكلات اجتماعية، نستحسن في الغالب كل ما يستحسنه الغربيون ونستقبح كل ما يستقبحونه، دون أن نسمح لأنفسنا بالجرأة في نقد ما يستحسنون أو يستقبحون، خذ لذلك مثلاً معالجة موضوع المرأة في الآونة الأخيرة، وما أثير حول تعدد الزوجات من ضجة ما تزال قائمة، إنك لتلمس جو «التبعية» وضعف «الاستقلال الفكري» ومجاراة الغربيين في الصد والإقبال والوصل والهجر، في أكثر ما تسمعه أو تقرأه حول هذا الموضوع، وقل أن تجد فيه أثراً «للشخصية المستقلة» و«الدراسة المتحررة العميقة» للأوضاع الاجتماعية في بلادنا.

وخذ لذلك مثلاً آخر هذا الأدب الجنسي الذي طغى على صحافتنا ومجلاتنا الأدبية والفكرية، حتى لتحسب أن هناك خطة مبيتة لإثارة غرائز الجنس في المراهقين والمراهقات. فالصور غالباً ـ سواء كانت على غلاف المجلة أو في ثناياها ـ

هي صور الممثلات من «نجوم» السينما والتلفزيون، والمناظر كلها مناظر فتاة تلعب أو تلبس أو تتحلى بأحدث الأزياء وأجمل المظاهر. وهذه مجلة عربية محترمة، يشرف عليها عالم محترم، وتنفق عليها حكومة عربية إسلامية لحماً ودماً، لم يفتها أن تحلي الصفحات الأولى لجميع أعدادها منذ صدرت حتى الآن، بصورة فتاة عربية أو أجنبية حسناء، كأن البلاد التي تصدر فيها تلك المجلة أو البلاد العربية الأخرى قد خلت من صورة عامل يحرث، أو قائد يخطب، أو عالم يبحث، أو أستاذ يدرس، أو أديب يكتب، أو جندي يحمل السلاح، أو ثكنة تخرج الأبطال، أو كأن صور هؤلاء لا تجعل المجلة محببة إلى قلوب قرائها!..

فيم كل هذا؟ ولم كل هذا؟ لا لشيء! إلا لأن صحافة الغرب هكذا تفعل، أو هكذا يقال أنها تفعل، أما أنا فلم أرَ ولم يرَ غيري مجلة علمية غربية تصدر وهي تلتزم دائماً أن لا تنشر على غلافها إلا صورة فتاة حسناء، ولكن كيف نثبت للغربيين أن عندنا صحافة راقية؟ وكيف نبرهن للعالم أننا تطورنا وتمدنا؟!

على أن عقدة النقص هذه التي ضربنا لها بعض الأمثلة، بدأت تنحل في نفوس أعداد من شباب هذا الجيل، وبدأ الاعتزاز بشخصيتنا المستقلة يقوى تياره يوماً بعد يوم، مما يوجب على المصلحين والمسؤولين رعاية هذا التيار والأخذ بيده، حتى ندعم استقلالنا السياسي باستقلالنا الفكري وتأتي

نهضتنا الرائعة كاملة منسجمة يأخذ بعضها بحجز بعض، وحتى يأتي اليوم الذي يصدق فيه علينا مرة أخرى قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

❁ ❁
❁

صـــراع[1]!

يعيش العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر وسط صراع عنيف بين النظم والعقائد الدينية والسياسية الكبرى في العالم، ويتعرض لهجوم مركز عليه في عقائده وتقاليده، هجوماً يشنه المعسكران المتصارعان، على تفاوت يسير بينهما في أساليب الهجوم وأفانينه.

أما الهجوم على تقاليده ـ ونقصد التقاليد الصالحة الزاخرة بالمثل الإنسانية العليا ـ فهو من طغيان هذه الحضارة وامتداد سلطانها وتعدد أساليب الفتنة فيها، بقدر ما هو من ترتيب أعدائه، ومؤامراتهم عليه لإخراجه من آخر حصون القوة الاجتماعية التي ظل يقاوم بها الانحلال مئات السنين، ومن أقوى أسلحته الدفاعية عن كيانه واستقلاله واستعصائه على الغزاة والمستعمرين.

وأما الهجوم على عقائده، فتتعاون فيه أجهزة الإرساليات التبشيرية والدراسات الاستشراقية، والبيئات العلمية المتعصبة، والمعاهد الأجنبية المشبوهة، والدوائر الاستعمارية التي أعياها أمر المسلمين في صراعهم العنيد المستميت ضد سيطرتها

---

(١) السنة الثانية، العدد الثاني: صفر (١٣٨١) = آب (١٩٦١).

واستغلالها وتحكمها في مصاير أمورهم وبلادهم، حتى أوشكت على الهزيمة سياسياً وعسكرياً، فلم يبق أمامها إلا إخراج المسلمين من عقيدتهم وهي أمنع قلاع المقاومة ضد الشر والفساد والعبودية والإنسانية الذليلة المستهترة.

وليس من شك في أن هذا الهجوم المركز على عقائد العالم الإسلامي وتقاليده الصالحة، ليس في مصلحة الحضارة الإنسانية الكريمة وإن كان الذين يشنونه هم أرباب هذه الحضارة، ذلك لأن الإسلام دين يحرر العقول من الخرافات والأوهام، ويحرر الإنسان من الذل والاستعباد، ويحرر الأخلاق من الفساد والانحراف، ويحرر النفوس من الخوف والأهواء، ويحرر المجتمع من الجشع والطغيان، ويحرر الشعوب من أسباب الحروب والمنازعات، دين يخضع الكون ومن فيه لإله قادر رحيم واحد لا تدركه الأبصار، ويخضع المجتمع لمقياس واحد مستقيم لا تضل فيه الآراء والأفكار، ويخضع الإنسانية لمثل عليا ترتفع دائماً نحو الكمال المطلق، والخير المطلق، والحب المطلق من غير اضطراب ولا انحدار.

والتقاليد الصالحة في المجتمع الإسلامي هي جماع ما تعارفت عليه الشرائع الإلهية والإنسانية من خلق كريم، وتماسك رحيم، وتعاون على البر والتقوى، وتعايش في أجواء العفة والفضيلة، وتضحية خالصة بين أبناء الأسرة الواحدة والوطن الواحد.

فإذا قدر لأعداء الإسلام أن ينجحوا في القضاء عليه وعلى تقاليده النبيلة فليس ذلك إلا انتكاساً مريعاً للإنسانية نحو الوراء.. نحو عصور الظلمة في الأفكار. ولو كانت تعيش - كما هي اليوم - في بريق أخاذ من الأنوار والأضواء، ونحو عصور الانحطاط في العلاقات الإنسانية أفراداً وجماعات، ولو تداعت - كما هي اليوم - إلى تنظيم هذه العلاقات في منظمات ومؤتمرات.. وحسب هذه الحضارة على ما فيها من زخرف وبهرج، وما في جامعاتها من علم ومنهج، وما في مصانعها من ابتكار واختراع، وما في كتبها وصحفها من معرفة وثقافة، أنها لا تزال تملأ أفكار الناس بالظلمات والترهات، وترتد بهم نحو عصور الجاهلية الأولى في وحشيتها وضراوتها، وتسوقهم إلى الحروب خفافاً وثقالاً، وتقذفهم بكل ما في جعبتها من عذاب ونكال، فأي خير عند أعداء الإسلام من كهنة هذه الحضارة يقدمونه للإنسانية بديلاً عن الإسلام وتقاليده الكريمة؟

ومن عجب أن يلتقي على حرب الإسلام أعداؤه برغم ما يضمره بعضهم لبعض من عداوة وبغضاء، وهذا هو شأن الحق دائماً يغري أهل الباطل بالتجمع على مناوأته ولو كانوا أشتاتاً وأحزاباً، وهو شأن الخير ينفس عليه الشر سلطانه على القلوب والعقول، فيسوق أعوانه إلى منازلة الخير متعاونين، وإن كان بعضهم يكره بعضاً كره اليهودي لمن عداه من أهل الأرض جميعاً.

وهذا هو بذاته ما يجعلنا نؤمن بأن العالم الإسلامي

سيخرج من هذا الهجوم المركز بعد تمحيص وابتلاء أقوى ما يكون بناء، وأصفى ما يكون جوهراً، فقوة الإسلام ذاتية غلابة لا تقهر، ولقد تجمعت عليه من جيوش الباطل، وأفانين الدس والمكر والتهديم خلال أربعة عشر قرناً ما لو تجمعت على شرائع الأرض لأتت على بنيانها من القواعد، ولكن الإسلام ظل مع هذا يقاوم المؤامرات، ويرد الهجمات، وينفخ في أبنائه روح الكفاح والنضال، ويسقي شجرة الحرية في أوطانه بالغالي من العرق والدموع والدماء.

وسيصمد العالم الإسلامي في هذا الصراع حتى تنجلي غمرة الباطل، وتنهزم قوى البغي والشر والاستعمار، وسينقذ الإسلام الإنسانية مرة أخرى مما تتردى فيه الآن من شقاء يكاد يعصف بكل ما في مقومات الحياة الإنسانية الكريمة من خير ورحمة واستقرار، ولا سبيل إلى هذا الصمود وهذا الإنقاذ إلا بأن يستفيد المسلمون من كل ما بين أيديهم من حق وقوة، ويملؤوا عيونهم بكل ما في كتابهم من نور وسناء، ويعتزوا بكل ما قدموا للإنسانية من حضارة وتراث.



الرّسول العظيم[1]

كلما تجددت ذكرى مولد الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه تبدت للمسلمين خاصة وللعالم عامة آفاق من عظمة الرسول وعظمة الشريعة التي أتى بها ما يدعو كل منصف إلى أن يصفه بما وصفه به برنارد شو من أنه «منقذ الإنسانية».

إن العالم اليوم يعاني من الظلم الاجتماعي والظلم السياسي والظلم الطبقي في كل بقعة من بقاع الأرض بلا استثناء، ما جعل المصلحين يجدون في العدالة السبيل الوحيد لإنهاء هذه الفواجع، وما جعل أكثر الحكومات تتبنى المبادئ الاشتراكية أساساً للإصلاح في مجتمعاتها، وإن كانت هذه الاشتراكية متعددة المناهج، مختلفة النظم والوسائل اختلافاً جعل بعضها في أقصى اليسار، وبعضها الآخر قريباً من اليمين.

وعظمة الرسول ﷺ أنه أول من وضع أساس العدالة الإنسانية العملية البناءة، التي تخلق من المجتمع عند تطبيقها مجتمعاً متماسكاً متعاوناً متحاباً قوياً، يبني أنبل الحضارات

---

(١) السنة الثانية، العدد الثالث: ربيع الأول (١٣٨١) = أيلول (١٩٦١).

وأكثرها إسعاداً للشعوب والمجتمعات، وعظمة شريعته الإلهية أنها جاءت باشتراكية من نمط فريد في التاريخ لم تعرفه البشرية حتى اليوم، برغم انتشار المذاهب الاشتراكية وتعددها، وبذلك كان رسول الله ﷺ أول رسول وضع الأسس الصالحة لمجتمع كريم فاضل، وكان الإسلام أول شريعة إلهية جعلت العدالة مدار تشريعها، وجعلت هذه العدالة سهلة التطبيق، سريعة الفائدة، مقبولة لدى النفوس، دون حاجة إلى سيف يسندها، أو إرهاب يفرض على الناس، أو دماء تراق أو أرواح تزهق:

ونحن اليوم إذ نخوض معركة الإصلاح الداخلي كما نخوض معركة التحرر من الاستعمار، تهيب بنا روح محمد ﷺ أن لا نضل طريقنا في المعركتين، وأن نسير في الطريق التي عَبَّدها لنا الرسول العظيم لنسلم من عواقب الهزيمة في المعركة الخارجية، وعواقب الفوضى والتخبط في المعركة الداخلية، وأن نستلهم من روحه وسيرته معاني الصبر والوعي والاستقامة والتضحية والإيثار والعدل والحب والدأب في الكفاح والجهاد.

ونحن إذ نعيش في عصور الانتقال من الفوضى إلى النظام، ومن الضعف إلى القوة، ومن الجهالة إلى العلم، ومن التفكك إلى التماسك، ومن التظالم إلى التعاون، ومن العداء إلى الحب والإخاء، نحن إذ نشهد هذا كله لا ينبغي أن ننسى هدي الرسول الكريم في هذا كله، فهو من الله رحمة للعالمين، وهو من السماء قبس ينير السبيل للسالكين في غياهب الليل

البهيم، وهو منا الأب الروحي لجماهيرنا، والقائد الإلهي لنهضتنا، والمرشد الحكيم الذي جاء من الله بنور وهَدْي كريم.

ولا يعرف التاريخ قائداً أبعد رأياً، ولا أوضح بصيرة، ولا أحلم نفساً، ولا أكرم مسلكاً، ولا أصدق حديثاً منه ﷺ، فهو لقادتنا القائد المفرد العلم، وهو لمصلحينا الإمام المرشد إلى سواء السبيل، وهو لعلمائنا منبع الحكمة والعلم، وهو لساستنا القدوة المثلى في السياسة الرشيدة والخطة الحازمة الناجحة، وهو قبل هذا كله النبي المحبوب المفتدى من جماهيرنا بالمهج والأرواح. فلن نجد عن طريقته بديلاً، ولا عن هديه وإرشاده خلفاً، ومنذ الأزل خاطبنا الله تعالى محذراً من مخالفته بقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يا سيدي يا رسول الله! إنا لنذكرك في يوم الذكرى فنحاسب أنفسنا على ما فرطنا في جنب الله وما ابتعدنا عن هديك الحكيم، ونرى كيف كانت عاقبة ذلك علينا ذلاً وهواناً وضعفاً وانحداراً، وجهالة وفقراً، ثم لا نرى لأنفسنا ـ ونحن نعيش في عصر الأماني الحلوة التي كانت أحلاماً فغدت حقائق نحياها في أنفسنا ومجتمعنا ـ إلا أن نعاهدك أن نظل بفضلك معترفين، ولهديك متبعين، وبشريعتك كما جئتنا بها عاملين، ولطريقك الذي بينته لنا سالكين، نحارب مَنْ حاربت، ونسالم مَنْ سالمت، ونسير حيث تسير، ونقف حيث تقف، أهواؤنا تبع لما جئت به، وأرواحنا فداء لما ندبتنا إليه، أيدينا مع يدك،

وقلوبنا متصلة بروحك الخالدة وقلبك الكبير، حتى تضعنا مرة أخرى حيث وضعت آباءنا من قبل، في مركز الصدارة بين شعوب الأمم، ومقام الهداية لمواكب التاريخ، وفي قمة المجد ينبعث منا النور، وتتبدد بنا الظلمات ويخزى بنا الظلم والباطل، ويعتز بنا الحق والخير. وتأوي بنا الإنسانية إلى ظل ظليل، وسعادة وارفة، وأمن مديد.

سيدي الرسول العظيم: إنا لنشهدك فينا في يوم ذكراك على حب يدعو إلى العمل، وإيمان يبعث على الخلاص، وانقياد يحقق لنا النجاة، نشهد أنك رسول الله وأنك رحمة للعالمين..



الدّعامة الكبرى في بناء المجتمعات[1]

كل نهضة لا بد لها من دعامتين: مادية ومعنوية، أما المادية فلا يخالف أحد في ارتكاز النهضات جميعاً عليها، وأما المعنوية فقد أصبح من المسلَّم به اليوم ـ بعد تجارب الأمم المتحضرة في هذا الشأن ـ أن القوة المعنوية في الأمة هي السلاح الفعال لاستقرار النهضة وصلاحها واستمرارها، وتختلف الأمم في تحديد القوة المعنوية التي تراها ضرورة لنهضتنا، فبعضهم يراها في استثارة الأمجاد القومية، وبعضهم يراها في الاعتماد على التربية الوطنية، وبعضهم يراها في تعليم «علم» الأخلاق، وبعضهم يراها في تقوية «الدعاية» الشعبية لمخططات النهضة ومقتضياتها.

والحق أن كل ذلك قد يكون مفيداً وصالحاً، ولكنه لن يكون عميق الفائدة، شامل المنفعة، دائم التأثير في غالب الحالات، وهذه الحضارة الغربية بين يدينا أعظم مثال. . فلقد حاولت أن تفلت من سلطان الدين، فوضعت مبادئ وقوانين وشعارات أخلاقية وتربوية ووطنية تعتمد عليها في حمل أبنائها على إطاعة الأنظمة، ومراعاة مصلحة الأمة في كل اتجاهاتها، فنجحت أكثرها إلى أمد قليل، ثم غدت جميعاً تعاني من انتشار

---

(١) السنة الثانية، العدد الرابع: ربيع الثاني (١٣٨١) = تشرين ١ (١٩٦١).

الجرائم، والتحايل على القوانين، وسعي كل مواطن إلى مصلحته الخاصة ما أخذت ترتفع بالشكوى منه أقلام الباحثين والعلماء الاجتماعيين، ولم تر أخيراً بداً من اللجوء إلى الدين لإيقاظ الضمائر، بل لتربية الضمائر الاجتماعية التي تعمل لمصلحة الأمة بوازع نفسي داخلي، دون نظر إلى مصلحة، أو خوف من عقوبة، أو رغبة في ثناء خالص أو مصنوع.

ونحن في تجربتنا القصيرة خلال نهضتنا الحديثة التي ابتدأت منذ نصف قرن تقريباً، قد جربنا ـ بدافع من تقليد الغربيين وانخداع بحضارتهم ـ أن نعتمد على وسائلهم التربوية بعيدين عن الدين الذي زعم زاعمون منا أنه رجعية وجمود، فماذا جنينا؟ ها هي سجلات الجرائم في محاكم الدولة ودوائرها، وها هي الإحصائيات الاجتماعية لكثير من نواحي حياتنا في داخل الأسرة وخارجها تثبت أننا في «تقدم» سريع نحو النتيجة المؤلمة التي وصل إليها الغربيون بعد قيام نهضتهم منذ قرون..

إن مشكلتنا اليوم ليست في نقصان «العلم» ولا ضآلة «الثقافة» ولا قلة «الأكفاء» للقيام بمتطلبات نهضتنا الحديثة، ولا في انخفاض مستوى الوعي والذكاء كما كان يدعي الاستعماريون من قبل، ولا في عدم أخذنا بأساليب الحضارة الغربية ومفاهيمها كما كان يدعي بعض رواد الفكر في بلادنا، فلقد أخذنا من ذلك كله بنصيب كبير، وإن عندنا من الذكاء ما يساوي الأمم المتحضرة أو يفوقها، ولكن مشكلتنا الحقيقية هي

ضعف «الضمير» الأخلاقي عند جمهرة العاملين في حقول النهضة وميادينها المتعددة، ثم امتداد هذا الضعف إلى جماهير الشعب، ولا شك في أن استمرار ضعف الضمير يؤدي إلى موته، وموت ضمير الأمة الأخلاقي انهيارٌ محقَّق لا ريب فيه.

ولا علاج لهذه المشكلة - بعد أن أثبتت التجربة فشل الوسائل الأخرى - إلا العودة إلى الدين لتربية ضمائر الناس، وحملهم على الاستقامة في سلوكهم الأخلاقي والاجتماعي والوطني، ذلك أن الدين عند المؤمن يجعل العلاقة بينه وبين الله مباشرة، فهو يراقبه في حركاته وسكناته، ويعلم دخائل نفسه وحقيقة نيته ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

ومن ثم فهو يخشى عقابه إن أساء، ويرجو ثوابه إن أحسن، ويبادر إلى التوبة إن انحرف، فأيُّ منبهٍ لضميره أقوى من هذا؟ وأية راحة تعدل راحة ضميره إذا قام بواجبه؟ وأي تأنيب لضميره أشد من أن يراه الله مخالفاً لأمره مرتكباً لزواجره؟ وأية مكافأة تدفعه إلى الاستقامة وإحسان العمل أكبر من مكافأة الله له بالرضا والخلود في جنات لا يمسه فيها نصب ولا لغوب؟

وفي تاريخ الديانات عامة، وتاريخ الإسلام خاصة، أمثلة رائعة لما فعله الدين في نفوس معتنقيه الأوائل، حتى أتوا بأنواع من البطولة والفداء والتضحية ونكران الذات ويقظة الضمير ما يكاد يشبه المعجزات، وكلنا ما يزال يترنم بمآثر هذه

الأجيال التي رباها الدين الصحيح تربية ممتازة على قلة الثقافة والمعرفة إذا قيست بمقاييس العصر الحاضر.

ولا يغض من قيمة هذه الحقيقة ما يرى من انحراف بعض المتدينين في سلوكهم الاجتماعي والأخلاقي، ذلك لأننا لا نعني بالدين مظاهره التي فقدت روحها، فالدين قبل كل شيء مراقبة الله في الأعمال، وخشية الروح في العبادة، واستقامة السلوك في الحياة، وحسن الخلق مع الناس، فمن لم يكن كذلك كان فهمه للدين خاطئاً، أو دعوته إلى الدين خداعاً، وقد عاب الدين على هؤلاء صنيعهم وأنذرهم أشد إنذار «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً» فلا يعتبر هؤلاء مقياساً يعرف به مدى أثر الدين في تكوين الضمير الأخلاقي والاجتماعي.

على أن الذين ينظرون إلى هؤلاء المنحرفين ليشككوا في قدرة الدين على تربية المجتمعات تربية سليمة قوية، لا ينظرون إلى النماذج المستقيمة من المتدينين الذين نراهم بأعيننا، ويعيشون بين أظهرنا، فلقد أصبح منهم فينا جيل وافر العدد، وهم أمثلة حية للصدق والأمانة والإخلاص والتضحية والفداء، فتجاهل هؤلاء وتذكر أولئك فحسب، حيف في الحكم، ومغالطة في المنطق، لا يلجأ إليها من يبتغي إلى الحق سبيلاً.

إن الدين كان وسيظل المحرك الأقوى والأكبر لكل بواعث الخير في نفوس الأفراد والجماعات، فمن الخير

المؤكد لنهضتنا أن تعتبره من أقوى دعائمها، وأن تحرص على الاستفادة منه استفادة مخلصة، قبل أن يستفحل الداء ويستشري الفساد ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.



الإسلام ودعاته[1]

ما يزال هذا الإسلام العظيم يصارع الديانات الباطلة والمذاهب الضالة، ويقاوم المؤامرات التي تحاك ضده من هنا وهناك، ويقف في وجه الفساد والمفسدين، ويعلن الدنيا الغارقة اليوم في لجج من الخصومات، مبادئه النبيلة الكريمة في الأمن والسلام، يدعو الناس جميعاً إلى التعاون على البر والتقوى، وينهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، يدعوهم إلى التعاون على البناء لا الهدم، وعلى الإصلاح لا الفساد، وعلى الهداية لا الضلال، وما يزال الناس غافلين عن دوره الكبير في إصلاح أمورهم، لو أصغوا إلى ندائه، واستجابوا لدعوته، ونزلوا عند أحكامه في أوامره ونواهيه.

والإسلام كدين خالد يمثل الحق في أروع صوره وأعظمها نقاءً، يجد في كل جيل جنوداً يبذلون في سبيله المهج والأرواح، ويستلذون في سبيل دعوته المر والصعب، لا يعرف اليأس إلى قلوبهم سبيلاً، ولا الملل إلى عزائمهم طريقاً، وهذا تاريخ الإسلام منذ بزوغ فجره حتى اليوم ما يزال تتلاحق فيه أفواج الدعاة جيلاً بعد جيل، كلما هلك منهم علَم قام من بعده

(١) السنة الثانية، العدد الخامس: جمادى الأولى (١٣٨١) = تشرين ٢ (١٩٦١).

أعلام، وكلما هوى منهم في الطريق مصلح تتالى من بعده مصلحون، وكلما هزتهم نكبة ارتفعت رؤوسهم من بعدها شرفاء صادقين لا تزيدهم النكبات إلا صدق عزيمة وشدة مراس.

ودعاة الإسلام اليوم مدعوون لمتابعة طريقهم الذي اختاروه لأنفسهم وهم عارفون بما يلحقهم من أذى وحرمان وهجوم وعدوان، متخذين من الأحداث التي عاصروها فرأوا فيها ما أهوى بالضربات على رؤوسهم أحياناً، وما أحاط بسمعتهم وكرامتهم من افتراء وتشويه أحياناً أخرى، عبراً تجنِّبهم عثرات المستقبل، وتبصِّرهم الطريق الصحيح إلى نشر الإسلام السمح النير الصافي كما أنزله الله، بين أبناء أمتهم والآخرين الذين لا يزالون يزرون به ويكيدون له وتمتلئ نفوسهم حقداً عليه.

ولعل من أكبر العبر التي أفادوها من تجارب الماضي وأحداثه، أن يجعلوا الدعوة إلى الله خالصة - ما استطاعوا - من كل ما يجلب لها العداوات، ويؤلب عليها الخصوم، ويوصد قلوب الناس دون الاستماع إلى صوتها العذب، وهدفها النبيل، وغاياتها المثلى.

ولعل من أكبر تلك العظات أن يعرفوا كيف يحزمون أمرهم متعاونين غير مختلفين، قد حددوا أهدافهم ووسائلهم بدقة وإحكام، وقدموا للناس ما جاء به الإسلام من حل لمشكلات المجتمع بتفصيل ووضوح، وميزوا بين أصدقائه وبين

أعدائه بعلامات لا مجال فيها للهوى ولا للحب ولا للبغض ولا للمصلحة الذاتية، وإنما تستوحى من المقاييس الواضحة في كتاب الله وسنة رسوله، ومبادئ الإسلام الثابتة وأهدافه العليا، فلا يلتبس عندهم الأمر بين الصديق والعدو، ولا بين المسالم والمحارب، ولا بين المحب والمبغض.

وقد يكون من تلك العظات أن لا يُدلوا على الناس إن أحسنوا العمل، وبذلوا النصح، وصدقوا في الدعوة، فإن الإعجاب بالعمل محبط للأجر مجلبة للذم، وأن لا يتهربوا من علاج الأخطاء حين تتضح لهم، فإن الخطأ منار يهدي السالكين إلى الطريق الصحيح، وكثيراً ما أدى تتابع النجاح إلى غرور يقود صاحبه إلى أوعر المسالك وأبعدها عن الهدى والرشاد.

ومن أكبر تلك العظات أن يدركوا أن تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس وإقناعهم بها ليس بالأمر السهل ولا بالمنال القريب كما كانوا يتصورون، فالأعداء كثر، والأهواء شتى، والغفلة عميقة، وحبائل الشيطان تمتد ذات اليمين وذات الشمال، ولم تكن الضلالة في عصر من العصور كما هي في عصرنا الحاضر، أشد سلطاناً وأكثر خداعاً وأقوى إغراءً وأبلغ فتنة.

إن الإسلام يخوض في عصرنا الحاضر معارك متلاحقة، لا أغالي إذا قلت: إنها أكثر المعارك التي خاضها الإسلام عنفاً وكيداً وبعد مدى، ولسنا نشك في أن الله تبارك وتعالى

ناصر دينه، ومعز كلمته، ومخزي أعدائه، فليشمِّر عن ساعده من أعد لهذه المعارك جلباباً من الصبر والتقوى والأمل، وليثق بوعد الله من آمن بالله واليوم الآخر: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾.

❀ ❀
❀

دروس الكارثة[1]

لا تزال قضية فلسطين كما بدأت منذ نصف قرن أو أكثر تتأرجح بين الحق والباطل، لم ينهزم فيها الحق هزيمته اليائسة، ولا انتصر فيها الباطل انتصاره الأخير، تتلقفها أيدي المحترفين من ساسة الشرق والغرب: هؤلاء يتوددون إلى الصهيونية العالمية بإضافة مكاسب جديدة لها، وأولئك يتخذون منها تكأة لنيل مغنم مادي أو معنوي، وأهل فلسطين المنكوبون ممنوعون من التصرف في قضيتهم، معزولون عن كل مصادر القوة التي تمكنهم من استرجاع حقهم، وجماهيرنا لا تزال تتحمس لها بالعاطفة، وتتذكرها بالحسرة، وترى في الدعايات التي تنطلق من بعض حكوماتها أملاً تستبشر به وترتاح إليه، والصهاينة ماضون في خطتهم المحكمة لحمل العالم الغربي على تأييدهم في باطلهم، ومدهم بمختلف المعونات التي تمكن لهم من البقاء في فلسطين المحتلة وتهديد جيرانها العرب بأحدث أنواع الأسلحة.

ولئن كانت كارثة العرب والمسلمين بضياع فلسطين وتشريد أكثر سكانها إثر قرار التقسيم عام ١٩٤٨ من أكبر

---

(١) السنة الثانية، العددان السادس والسابع: جمادى الآخرة ورجب (١٣٨١) = ك١ وك٢ (١٩٦١).

الكوارث التي حلت بهم في عصرهم الحديث، فإن رحمة الله التي لا تتخلى عن أمتنا في أشد أيامها عبوساً ولياليها ظلاماً، قد جعلت من الكارثة بداية يقظة كبرى في شعوبنا التي ذاقت مرارة المحنة وتجرعت ذلة الهزيمة، فانطلق المخلصون في كل بلد يحاولون تحطيم القيود التي حرمت أمتهم من النصر حينذاك، وما هي إلا سنوات معدودات حتى سيطرت على جيوشنا روح جديدة جعلتها في مستوى عالٍ من الكفاءة والوعي وقوة السلاح ووفرة الذخيرة، وحررتها - أو معظمها - من سيطرة الاستعمار على مقدراتها وتوجيه قياداتها.

كما تبينت شعوبنا أسباب الهزيمة ومؤثراتها، وعرفت مواطن العلة وعوارضها، وبدأت دراسة القضية في أطوارها المتعاقبة دراسة علمية من شأنها تكوين حماس واعٍ منظم في أجيالنا المتلاحقة، وأخذ اقتصادنا القومي يتحرر من الركود الذي أراده له الاستعمار، وينمو واقفاً على قدميه نمواً متلاحقاً يبشر بمستقبلٍ اقتصادي مزدهر.

ومما لا ريب فيه أن كارثة فلسطين كانت من عوامل اليقظة الدينية في أمتنا، فما نراه اليوم من تيار إسلامي قوي يكتسب كل يوم إلى جانب العقيدة والخلق المستقيم أنصاراً من مختلف فئات الشعب، ترجع قوة اندفاعه إلى المرارة التي أحدثتها نكبة فلسطين في نفوس دعاة الإسلام، وإلى جرثومة الفساد التي اكتشفوها بأنفسهم وقد خاضت أعداد كبيرة منهم معركة فلسطين بأجسامهم وأرواحهم، ومن طبيعة الإسلام أن

يكون وقوداً لكل يقظة تعقب الكوارث والمصائب الجسام، وأن يكون الشرارة الأولى والقوة الدافعة لكل انطلاقة نحو الإصلاح والبناء ومكافحة الأشرار والمفسدين. كما أثبت تاريخ الإسلام عبر القرون المواضي أن المحن مهما اشتدت لا تقضي على آثاره في نفوس المؤمنين، بل تنبعث من جديد - بعد أن تكون غافلة - لتعمل عملها في تكوين الأبطال وصنع المعجزات وتحويل مجرى التاريخ، وذلك هو شأن الدين الحق الذي أراده الله لعباده صراطاً مستقيماً وهدياً مستبيناً وعيشاً كريماً.

ذلك هو بعض ما أفدناه من دروس الكارثة مما يجعلها تنقلب بعد حين بإذن الله إلى نصر مبين إن أحسنَّا الاستفادة من عبرها وعظاتها، وتعاهدت الأيدي الطاهرة والعقول النيِّرة والقلوب المؤمنة في برنامج واضح الحدود والمعالم على استرداد الأرض السليبة وطرد الغاصبين المحتلين.

وقد يكون من خير ما نبدأ به العمل أن نعيد قيادة المعركة لزعماء فلسطين المخلصين وشبابها العاملين، فهم أكثر إخلاصاً وأشد وعياً وأعظم اندفاعاً ممن لم يكتو بنار معركتها، ولم يشرد له طفل ولا أب من أجلها، ولم يغتصب له شبر ولا دار من أرضها، فأهل مكة أدرى بشعابها، وليست النائحة كالثكلى، ولا المواسي كالمصاب، ولا الجريح كالقتيل، ولا الشريد كالمقيم.

إن الذي نقل معركة الجزائر من نصر إلى نصر هو أن أبناءها الأبطال هم الذين تولوا قيادتها وتحملوا مسؤوليتها، ولم يطلبوا من إخوانهم إلا العون المادي والتأييد المعنوي، ولو قدر لقضية فلسطين أن تظل بأيدي أبنائها الذين سجلوا أروع مآثر الفداء والتضحية والبطولة في مقاومتهم ـ وهم شعب صغير مستضعف ـ لأقوى دولة منتدبة وأخبث شعب مغير، وقد استمروا في هذه المقاومة قرابة ثلاثين عاماً، لم يهنوا في عزائمهم، ولم يفتروا في مقاومتهم، ولم يفرطوا في قضيتهم، أقول: لو قدر لمعركة فلسطين أن تظل بيد هذا الشعب المكافح الأمين، لتغير وجه المعركة ولما وصلنا إلى تلك النتائج المؤلمة.

والآن يجب أن نصحح خط السير الذي بدأناه في معالجة القضية الفلسطينية فنسلم بالقيادة لأبنائها، ونرفع مستوى المشردين منهم روحياً وخلقياً ومادياً لتجنيدهم لخوض المعركة المقبلة، ونترفع عن استغلالهم واستغلال قضيتهم لأغراضنا الخاصة، وأن نرفدهم بكل إمكانياتنا من مال وسلاح، ونستمر على تبني قضية فلسطين في المحافل الدولية بتضامن وتنظيم دقيقين.

كما يجب أن تُعد شعوبنا لخوض المعركة المقبلة مع إخواننا أهل فلسطين، وذلك إنما يكون بتحرير جماهيرنا من مختلف أنواع العبودية والمهانة، وتربيتها تربية الأحرار الذين تفيض نفوسهم بالإيمان بالله، وترتفع رؤوسهم بالخلق الكريم،

وتهوى أفئدتهم مصارع الشهداء لينعموا بالخلد في جنات النعيم.

إن معركة الحرية لا ينتصر فيها إلا الأحرار، فلنعمل لتظلل الحرية الكاملة سماء وطننا الكبير.

❁ ❁
❁

أثر الدعوة الإسلامية في الإصلاح السياسي[1]

كانت البلاد خلال عهود الانتداب يقودها نفر من الزعماء أخلص كثير منهم في جهاده ضد الاستعمار، وفي هؤلاء وجد الشعب قيادته المرجوة فسار وراءها واستجاب لأوامرها، وبذل لها من دمه وماله الشيء الكثير حين كانت تطلب التضحية بالدماء والأموال.

فلما قدر للانتداب أن ينتهي أمره كان من الطبيعي أن يتولى الحكم من قادوا الشعب في معاركه ضد الاستعمار، وكانت البلاد تشكو من فساد أنظمة الحكم في عهد الانتداب وسوء تصرفات المشرفين على جهاز الدولة بتشجيع من الاستعمار نفسه، فلما استلم الحكم زعماؤه الوطنيون كانت تأمل منهم أن تزول الأوضاع السيئة، وأن يكون جهاز الحكم أداة لخدمة الشعب ورفع مستواه ودعم كيانه واستقلاله، بيد أن الآمال ما لبثت أن خابت بعد فترة وجيزة من الحكم الوطني، إذ انصرف أكثر الحاكمين إلى استغلال الحكم لمنافعهم ومصالحهم ومصالح أنصارهم، ووأدوا الكفايات في مهدها إذا لم تخضع لأهوائهم، وأقصوا عن الحكم كل من لم ينضو تحت لوائهم الحزبي، فشاع اليأس محل الأمل، وفقدت الثقة

(١) السنة الثانية، العدد الثامن: شعبان (١٣٨١) = شباط (١٩٦٢).

بقدرة الحكم الوطني على النهوض بأعباء المسؤوليات الجسيمة التي ألقاها على عاتقهم عهد الاستقلال. واضطربت **الأوضاع الاقتصادية** إذ لم يكن للدولة منهج واضح ولا برنامج معروف، فكان ميزان التعادل بين الاستيراد والتصدير منعدماً، ولم تتجه عناية الحاكمين إلى استثمار خيرات البلاد ومواردها الطبيعية، بل كان جل اعتماد الدولة على المواسم الزراعية، وهي وحدها التي كانت تسد العجز الناشئ عن زيادة الواردات عن الصادرات.

وفي **الناحية الدفاعية** لم تبذل الجهود لإنشاء جيش قوي يساير التطور الحضاري في التنظيم والتسلح، بل كان بعض هؤلاء الحاكمين لا يرون فائدة من الإنفاق على الجيش وتسليحه ـ وكان ذلك قبل نكبة فلسطين ـ ما دامت البلاد غير متعرضة في رأيهم لغزو خارجي، بل كانوا يفترضون أن تنجدهم صديقاتهم من الدول الغربية لو تعرضت البلاد لمثل هذا الغزو.

وفي **السياسة الخارجية** كان الاتجاه المسلّم به هو التبعية للدول الغربية، وكان منهم من يعتقد مخلصاً أن من الجنون التفكير في إغضاب الغربيين والتمرد على اتجاهاتهم، وكانوا يرون من الضعف في أنفسهم وأمتهم ما يجعل الدعوة إلى الاستقلال في السياسة الخارجية عن سياسة الدول الغربية شططاً من خيالات النظريين الذين لا يعرفون السياسة ولا يفهمون فيها شيئاً.

وكان من الطبيعي أن تنشأ الأحزاب المعارضة في البلاد نتيجة الشعور الغامر بفساد الحكم واتجاهاته وفساد الحاكمين وتصرفاتهم، ولكن هذه الأحزاب كانت تتألف من شباب ليس لهم رصيد من الجهاد الوطني كما يملك الحاكمون، وليست لهم قواعد شعبية يقفون عليها لزحزحة أولئك الحاكمين عن مراكزهم، فظلت جمهرة الشعب تكن من الاحترام لزعماء النضال السلبي ضد الاستعمار ما مكنهم من التمركز في الحكم وأغراهم بصم آذانهم عن شكاوى الشعب وانتقاده لتصرفاتهم. ومن ثمة فقد اتسمت حركة المعارضين بعدم الجرأة عن مواجهة الحاكمين بنقد أعمالهم على مستوى الصعيد الشعبي إلا صرخات وكلمات يطلقونها تحت قبة المجالس النيابية، وكان يراد لها أن تظل حبيسة في أروقة تلك المجالس بما كان يملك الحاكمون من صحافة قوية تسير كلها بإرشاداتهم، فكانت تكيل لهم الثناء جزافاً، بينما كانت تتهم خصومهم بما ينفر الشعب منهم ويصمهم بالخيانة أو الشغب أو الفوضى أو الحقد الشخصي على الحاكمين.

وتشاء إرادة الله ورحمته أن تبلغ الدعوة الإسلامية الناشئة مرحلة تمكنها من قلوب الشعب وتجعل لها مكاناً مرموقاً في نفوس الجماهير، بما كانت تنادي به من مبادئ الإصلاح المستمد من عقيدة الأمة ودينها، فاستطاعت بذلك أن تجهر بالحق في وجود الحاكمين، وأن تشرح للجماهير مساوءهم وأخطاءهم، وأن تدعوهم باسم الشعب إلى العودة إلى دين الله

والاستمساك بتعاليمه: من استقامة السيرة، وعدالة الحكمة، ومكافحة الظلم الاجتماعي، والتحرر من التبعية السياسية للدول الاستعمارية الكبرى، ووجوب التزام الحياد بين المعسكرين المتصارعين، وإعداد جيش قوي يحمي البلاد من عدوان الطامعين، وتحرير فلسطين من الانتداب البريطاني أولاً ثم من الاحتلال الصهيوني أخيراً...

وتجاوبت مشاعر الأمة مع دعاة الإسلام، وبدأت الأرض تميد تحت أقدام الحاكمين، وبدأت الوجوه تتغير في المجالس النيابية، وأخذت وجوه جديدة تقفز إلى مقاعد الحكم، وأصبحت الدعوة إلى العدالة الاجتماعية تحتل مكانها في الدساتير والقوانين، واضطرت الحكومات إلى أن تعنى بشؤون الجيش وتقويته، وإلى أن تتخذ قسطاً كبيراً من الإجراءات التي تجعل الأمة قادرة على مواجهة الخطر الإسرائيلي، وأصبح الحياد وعدم الانحياز شعاراً رسمياً تتبناه الحكومات والأحزاب، وأصبحت البلاد تتحلل شيئاً بعد شيء من التبعية للنفوذ الغربي الاستعماري، وأخذت الدراسات العلمية طريقها إلى دواوين الدولة ووزاراتها.

كل ذلك لم يكن ليتم بالسرعة التي تم بها هذا الإصلاح السياسي الكبير لولا قوة الوعي الإسلامي الذي استيقظ في نفوس الجماهير بفضل دعاة الإسلام، ولم يكن يتحقق لدعاة الإسلام هذا النصر في ميدان الإصلاح السياسي لولا الإسلام؛ أي: لولا القرآن ولولا محمد ﷺ.

المعجزة الجزائرية[1]

لم يشهد جيلنا المعاصر حدثاً أروع، ولا أفرح، ولا أبلغ في الدلالة، ولا أبعد في الأثر، من النصر الذي أحرزه شعب الجزائر بعد ثورته الدامية التي استمرت سبع سنوات وبضعة شهور.

معجزة هذا النصر تتجلى في أن شعب الجزائر انتصر بثورته الظافرة، وهو شعب فقير متخلف أعزل لا نصير له إلا عواطف إخوانه من شعوب البلاد العربية والإسلامية وقليل من أموالهم، ضد الدولة الفرنسية وهي غنية متحضرة مسلحة، تمدها الدول الغربية كلها بالمال والسلاح والتأييد المادي والمعنوي، وتدفعها إلى العناد في التسليم بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، نحيزة من عداء وراثي صليبي، وبقية من عظمة عسكرية وسياسية حيث كانت إلى عهد قريب أقوى دولة برية في أوروبا، وحاجة ملحة إلى ثروات الجزائر الظاهرة والدفينة، وإلى أرض الجزائر الخصبة الشاسعة ليهاجر إليها العاطلون والمفلسون والمغامرون والمجرمون من أبناء شعبها، وعقدة نفسية بسبب هزائمها المخجلة في الحرب العالمية الثانية وفي الهند الصينية، وخروجها من الحرب

(١) السنة الثانية، العدد العاشر: شوال (١٣٨١) = نيسان (١٩٦٢).

العالمية الثانية وهي في المرتبة الرابعة في القوى الدولية ليس لها وزن كبير في السياسة العالمية.

هذان الجانبان اللذان لا تكافؤ بينهما في ناحية ما من نواحي المعركة، ينتصر الفقير منهما على الغني، والمتخلف على المتمدن، والأعزل على المسلح، والقليل على الكثير، والمضطهد على ذي النفوذ والسلطان والحلفاء... إنه لنصر معجز لم يقع مثله في تاريخ الثورات، منذ عرفت ثورات الشعوب على مضطهديها.

وإذا كان التاريخ يعلمنا أنه ما انتصرت أمة على أمة ولو كانتا متكافئتين إلا بسبب أو أسباب أدت إلى ذلك النصر، فإن من حقنا أن نلح في معرفة الأسباب الرئيسية التي أدت إلى وقوع المعجزة الجزائرية التي أرغمت أنف أحمق دولة عرفت في التاريخ وأشدها وحشية وموت ضمير، على أن تطأطئ الرأس للحق الثائر، وتعترف لشعب الجزائر باستقلاله وسيادته على أرضه.

ولسنا في هذا المجال بمستطيعين أن نعدد عوامل النصر، ولكن لا بد من أن نشير إلى أولها وأقواها، فقد أصبح مما لا يجادل فيه أشد الناس كرهاً للدين أن الإسلام صاحب الدور الأكبر في بروز هذه المعجزة إلى الوجود.

لقد حرصت فرنسا منذ أن احتلت الجزائر عام ١٨٣٠ على أن تمحو هذا الشعب محواً تاماً بكل وسائل المحو

والإبادة، دع عنك مجازرها الوحشية التي كانت تذبح فيها عشرات الألوف ومئاتها دفعة واحدة، وتدمر عشرات المدن والقرى تدميراً تاماً، ودع المجاعات التي كانت تنزلها بالشعب الجزائري ليتساقط الألوف صرعى العطش والجوع، وليهاجر مئات الألوف سعياً وراء لقمة العيش ومِزَق الكساء وخرائب البيوت، دع عنك هذا وذاك ثم اذكر المخطط الفرنسي المحكم للقضاء على دين الشعب الجزائري ولغته وعروبته وصلته بماضيه الحضاري الزاهر، وما كانت تبذله فرنسا في سبيل ذلك من إرساليات للتبشير، ومن معاهد للتعليم، وما تصدره من القوانين، وما تحوله من المساجد إلى كنائس، وما تبنيه من الكنائس من الأوقاف الإسلامية، وما كانت تطارد به علماء المسلمين وزعماءهم ومفكريهم وأحرارهم في كل مكان وتحت كل سماء، إن أقوى شعب في الأرض لا يستطيع أن يصمد لهذا الغزو الفكري والخلقي والحضاري ربع قرن حتى يذوب ككيان، ويهاجر كشعب، ويمحى على أرضه كتاريخ، فكيف وقد استعملت فرنسا أدق الوسائل وأخسها للقضاء على الشعب الجزائري قضاءً كاملاً، ولإلحاق الأرض الجزائرية بالأرض الفرنسية إلحاقاً تاماً طيلة مائة واثنين وثلاثين عاماً متلاحقة نشأ في خلالها ثلاثة أجيال؟

لقد اعترف كبار رجالات فرنسا العسكريين والسياسيين أن أكبر حائل وقف بينهم وبين ما يحاولون من فرنسة الشعب الجزائري وتنصيره وتهجيره وإفنائه هو القرآن كما عبر بعضهم،

والإسلام كما عبر بعضهم الآخر، ومحمد ﷺ كما عبر آخرون.

والشعب الجزائري وهو وريث التخلف والانحطاط منذ مئات السنين قبل الاحتلال الفرنسي، وضحية التآمر على دينه ولغته بعد ذلك، لا يعرف الإسلام معرفة الأجيال الأولى في تاريخ الإسلام، ولكنه يعرف الإسلام كدين يحكم بالكفر على كل من رضي بولاية غير المسلمين عليه، ويعرف القرآن ككتاب يثير في المؤمن أقوى ما يهيج فيه حب الاستشهاد في سبيل الله شوقاً إلى الجنة ونعيمها ومن فيها من الأنبياء والشهداء والصالحين، ويعرف محمداً صلوات الله وسلامه عليه كنبي يحب، ورائد لا يخطئ الطريق أبداً.

الإسلام والقرآن ومحمد ﷺ - في ذلك المفهوم المحدود الذي فهمه الشعب الجزائري المسلم - كانوا سبباً في تحطيم جميع المؤامرات الفرنسية الجهنمية ضد كيان ذلك الشعب المسلم طيلة عهد الاحتلال، فكيف لو عرف الشعب الجزائري الإسلام كأكمل نظام، والقرآن كأقوم دستور، ومحمداً كأنجح رسول، أكان يظل في الأسر والعبودية مائة واثنتين وثلاثين سنة؟ ولو أن كل شعوب العرب والمسلمين عرفت الإسلام والقرآن ومحمداً كذلك، أكانت ترضى أن تكون في ذيل ركب الحضارة وهي التي أعدها الله لتكون رائدتها وحاملة لوائها؟

إننا في غمرة الفرحة الكبرى بالمعجزة الجزائرية، لترنو

أبصارنا إلى اليوم الذي يحتل فيه شعب الجزائر مكانه في تاريخ الحضارة الإسلامية الحديثة، ليستعيد مكانة آبائه في تاريخ الحضارة الإسلامية الغابرة، وسترى الدنيا منه ذلك مرة أخرى بإذن الله، مهما كانت التركة التي خلفها له الاستعمار خلال قرن وثلث قرن مثقلة بالديون والأعباء.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾.

❀ ❀
❀

درس للقادة والزعماء[1]

كلما مرت ذكرى العظماء الخالدين تتجدد في نفوس المؤمنين بهم والمقدرين لعظمتهم وخلودهم، تلك المعاني الإنسانية الرفيعة التي بها خلدوا وأثروا في مجرى التاريخ.

والأنبياء والرسل في ذروة العظمة الإنسانية بلا ريب، ولكنهم يمتازون من عظماء الدنيا بأن كمالهم الذي صاغوا به الأمم صياغة جديدة، إنما صنع على يد الله ﷻ، فكمالهم من كماله، وعظمتهم من عظمته، وتعاليمهم من وحيه وإرشاده، فلا يجانبها الحق، ولا يتطرق إليها الخطأ، ونفوسهم أبعد النفوس عن الانحراف واتباع الهوى، وسيرتهم أنقى السير سمواً وجمالاً وأجدرها بالقدوة والأسوة.

ومحمد صلوات الله وسلامه عليه في الذروة العليا من أنبياء العظماء بلا ريب، بما جمع من كمال السيرة، وخلود الشريعة، وعظيم الأثر، فكلما مرت بنا ذكراه تجددت في النفوس التي تعشق الحق والخير روعة شريعته، وكمال سيرته، في عصر تضطرب فيه مقاييس العظمة، وتتعثر فيه خطى الإنسان نحو السعادة والطمأنينة والسلام.

---

(١) السنة الثالثة، العدد الأول: ربيع الأول (١٣٨٢) = آب (١٩٦٢).

ولعل أجدر ما ينبغي أن يستفيد منه العالم في ذكرى مولده عليه الصلاة والسلام، ما كان عليه من خلق إنساني عظيم: في قيادته، وسياسته، وحروبه ومعاركه، فلقد أعلن عليه الصلاة والسلام أن جوهر رسالته هو إتمام بناء الصرح الأخلاقي الذي بدأ به إخوانه الأنبياء من قبله حيث قال: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وكان في حياته كلها مثلاً سامياً لدعوته الأخلاقية في شتى نواحي الحياة، فتجلت عظمة النبوة العملية في طراز ممتاز من الخلق الإنساني الكامل في قيادته لأمته، وسياسته لأمورها، وكفاحه لأعداء الدعوة التي حمل أعباءها.

كان في قيادته لأمته صريحاً لا يظهر خلاف ما يضمر، ولا يضمر خلاف ما يظهر، مبتدئاً بنفسه في تنفيذ ما يدعو إليه، مخلصاً فيما ينادي به من مثل ومبادئ، لا يبتغي بها دنيا ولا سلطاناً ولا تحكماً ولا استعلاء، بل كان وهو في أوج نجاحه، متواضعاً لا يعرف الكمال الإنساني مثيلاً لتواضعه وتجرده عن الكبرياء والغرور، توقفه الأمة العجوز في منتصف الطريق، فيصغي إليها لتقول كل ما عندها، ويحنو عليها فتفرغ في سمعه ما يختلج في صدرها من شجن وأسى، ويصافحه الرجل فلا ينزع يده من يده حتى يكون ذلك الرجل هو الذي ينزعها قبله، ويأتيه وفد نصارى الحبشة فيشرف على خدمتهم بنفسه، ليرد لهم الجميل؛ إذ كانوا لأصحابه الذين هاجروا إليهم مكرمين، وتنهار أمامه آخر قلاع المقاومة الوثنية وأشدها شكيمة، فلا

يزهيه النصر، ولا تملؤه الكبرياء، بل يدخل مكة التي استسلمت وهو مطأطئ الرأس يكاد صدره يمس قتب راحلته شكراً لله وخضوعاً لجلاله.

وكان في سياسته قاضياً عادلاً ينفذ الحق على أقرب الناس إليه كما ينفذه على أبعدهم منه، كما كان أباً رحيماً حازماً، يوجه الناس إلى ما يفيدهم ويدفع عنهم ما يؤذيهم، من غير أن يعنتهم أو يشق عليهم، وهو كما قال الله عنه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ولم يكن في سياسته بالذي يتملق الجماهير، ويدغدغ أهواءها، ويستثير شهواتها، بل كان يزجرها إن اشتطت، ويهديها إن ضلت، ويمنحها النصح خالصاً لا يشوبه منٌّ ولا أذى ولا تفضل ولا امتهان، ولا كان في سياسته بالذي يهتم بما يوطد دعائم مجده الشخصي، ويهمل ما يوطد دعائم المجد والخير لأمته، كان يرى أمته قبل أن يرى نفسه ويؤرقه تردي الناس في الفساد، حتى عاتبه الله على ذلك بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾.

وكان في معاركه وحروبه مثال القائد الحربي الذي لا تفارق الرحمة تصرفاته في أشد المعارك هولاً واحتداماً، كان يسالم إن أجدى السلم، ويحارب إذا لم يكن مفرٌّ من الحرب، وهو في الحالين يفضل انتصار مبادئه التي يدعو إليها على انتصار شخصه وفرض إرادته، وما صلح الحديبية عنا بسرٍّ ولا مجهول، وكان يفضل الصلح على الحرب، والعفو على

الانتقام، والمفاوضة على المواثبة، فإذا أكرهه أعداؤه على خوض غمار الحرب ضيق دائرتها بحيث لا تشمل إلا مؤججي نارها، دون المسالمين والعاجزين والنساء والذراري والعابدين.

وبعد، أفليس قادة الشعوب وزعماؤها وساستها في أشد الحاجة اليوم إلى مثل هذه الأخلاق؟

إن سر الشقاء الذي يعيش فيه العالم اليوم، وسر الاضطراب الذي تعانيه أمتنا في عصرنا الحاضر، هو انفصال الأخلاق عن السياسة، فالزعيم أو القائد أو السياسي لا يرى نفسه ملزماً بالتقيد بمبادئ الأخلاق، بل يرى أكثرهم أن التقيد بها عائق من عوائق النجاح، وأن الخروج عنها من أمارات الدهاء الذي يوصله إلى قمة المجد، وأي مجد هذا الذي يطمحون إليه؟ مجد أمة على أشلاء أمم! مجد شخص على إذلال شعب! مجد فئة على حطام فئات! مجد يسطر بالدم والنار والفتن والضحايا وإفساد الضمائر وتهديم مقومات الكرامة الإنسانية، وإشعال الحروب ولو أدت إلى دمار العالم وفناء الشعوب..

إن الأمجاد الشخصية أو القومية حين تنفصل عن الأخلاق، تتذرع بالشر للوصول إلى أسوأ غاياته، ويكون الإنسان أول ضحايا نيرانها، وتكون السعادة والطمأنينة والكرامة أول ما يفقده الإنسان فيها، ولعل في الحرب العالمية الثانية أكبر دليل على ما تجره الرغبة في الأمجاد القومية

المنفصلة عن الأخلاق، من دمار يحيط بالأمم التي تسعى وراء هذه الأمجاد قبل غيرها؟ ولعل ما يقع في قلب وطننا الكبير أوضح دليل على ما تحمله رغبات المجد الشخصي المنفصل عن الأخلاق من معاول التهديم لكياننا ومقوماتنا ومظاهر قوتنا التي نحاول أن نبنيها من جديد لندفع ما يحيط بنا من أخطار.

إن التزام الزعامات والقيادات بالمبادئ الأخلاقية أول ما ينبغي أن نفيد منه في ذكرى مولد الرسول العظيم، فهل تصل هذه الصرخة إلى آذان القادة والزعماء؟ أم يصرون على أن يصموا آذانهم فيستبدل الله بهم قوماً غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم؟



الإخاء الإسلامي بين الأمس واليوم[1]

كان الإخاء الإسلامي - في عصور الإسلام الذهبية - بين مختلف الشعوب التي اعتنقت الإسلام، مثلاً طيباً لما تستطيعه العقيدة الصالحة من خدمة للسلام العالمي والحضارة البشرية في جمع الشعوب المتباينة في لغاتها وطبائعها ومراكزها، على الحق والخير، وإزالة الفوارق العصبية واللغوية بين الناس بحيث تتآخى قلوبهم على كل ما فيه كرامتهم وسعادتهم.

وفي ظل هذا الإخاء الإسلامي الذي شمل شعوب الشرق في قارتي آسيا وأفريقيا، ازدهرت الحضارة الإسلامية، وقامت معاهدها ومؤسساتها العلمية والحضارية يسهم فيها العلماء من جميع الأجناس واللغات والأديان بما لم يعرف من قبل ولا عرفه من بعد تاريخ الحضارات.

وحين بدأ التصدُّع في كيان الدولة الإسلامية الموحَّدة، وانقسمت إلى دول وإمارات يعادي بعضها بعضاً في كثير من الأحيان، لم يتأثر الإخاء الإسلامي بهذا الانقسام السياسي، بل ظلت روابط القربى في العقيدة والفكر تعمل عملها الداخلي في

(١) السنة الثالثة، العدد الثاني: ربيع الثاني (١٣٨٢) = أيلول (١٩٦٢).

ازدهار العلم والحضارة ونشر الإخاء والتعاون بين شعوب هذه الدول والإمارات.

ولما ابتلي العالم الإسلامي في القرنين الماضيين بالاستعمار يقطع أوصاله، ويُخضع حكوماته لسلطانه، تأثر الإخاء الإسلامي بعض التأثر، وبرغم ما كان يحاوله الاستعمار من القضاء على روابط الإخاء بين الشعوب الإسلامية توطيداً لدعائم استعماره، فإن رابطة الأخوة بين الشعوب الإسلامية لم تفتر كثيراً عما كانت عليه، وظل المسلمون أينما كانوا يشعرون بمصائب إخوانهم وويلاتهم، ويهبون لنجدتهم على قدر ما كانت تسعفهم الظروف يومئذٍ.

وفي مطلع هذا القرن رافقت الوعيَ الشعبي في جماهير الشعب المسلمة للمطالبة بالحرية والاستقلال، الدعوة إلى القوميات المتعددة في مختلف البلدان الإسلامية على أساس عرقي أو لغوي أو تاريخي تحاول أن يرجع بكل أمة إلى تاريخها قبل الإسلام، وإلى أن تجعل العصبية فيما بينها للعرق لا للعقيدة، وللسان لا للإيمان، والتاريخ الميت المهجور، لا للتاريخ الحي الذي عاشت فيه هذه الشعوب زهاء ثلاثة عشر قرناً، وتحولت فيه تحولاً كبيراً من أمة كانت تعيش على هامش الحياة، أو على سقط المتاع من العقائد والأخلاق إلى أمة ذات رسالة إنسانية تسهم في الحضارة الإسلامية بكل طاقاتها وإمكانياتها.

ونجحت هذه الدعوات القومية في بعض الشعوب

الإسلامية دون الأخرى، وإذا كان من المسلَّم به أن هذه الدعوات لعبت دوراً كبيراً في استقلال هذه الشعوب ويقظتها، ونقلتها من الخمول إلى النشاط، ومن التخلف إلى التقدم، فإن من المسلَّم به أيضاً أن الإسلام هو صاحب الفضل الأول في نجاح هذه الحركات؛ لأن الدعوة إلى الحرية والعلم واطراح الجهل والخرافة والخمول هي من المبادئ الأولية في الإسلام الذي آمنت به هذه الشعوب، فسرعان ما استجابت إليها حين وجدت من يحمل لواءها ويدعوها إلى تحقيقها.

غير أن هذه القوميات كانت متأثرة تمام التأثر بالدعوات القومية التي قامت في الغرب في القرنين الماضيين، فتنكرت للدين، وازدرت بصلة الإخاء التي يقيمها بين المؤمنين به من مختلف الشعوب، ورأى الاستعمار في ذلك عوناً له على فَصْم الوحدة الإسلامية وتشتيت شعوبها، فغذى هذا المظهر العدائي للدين في القوميات الشرقية، وكان كثير من دعاة القوميات أعداء للإسلام ظاهراً أو باطناً، فاندفعوا في هذا الطريق بكل قوة يحاولون قطع كل صلة بين شعوبهم وشعوب العالم الإسلامي، ويزيدون في التفرقة بتشويه التاريخ، وطمس حسناته، واستغلال سيئاته.

وجاء استقلال أكثر الشعوب الإسلامية، ثم سيطرة عدد من ضعاف الإيمان والعلم بدينهم وتاريخهم وحضارتهم على مقدرات هذه الشعوب المستقلة، فزادوا في إضعاف الإخاء الإسلامي بين شعوبهم وبين الشعوب الإسلامية الأخرى،

بانتهاج كل منهم سياسة خارجية وداخلية تختلف عن سياسة غيره من الرؤساء، مما أدى إلى تعادي الحكومات في العالم الإسلامي عداء وصل في بعض الأحيان إلى العدوان المسلح أو ما يقاربه، ولم يسمح هؤلاء الرؤساء المتعادون لشعوبهم بأن تلتقي وتتقارب، بل اتخذوا من وسائل الإعلام والنشر الحديثة أداة لزيادة النفرة بين هذه الشعوب بعضها مع بعض، وأقاموا العقبات في طريق السفر والتنقل بين بلادهم وبلاد العالم الإسلامي خاصة، مما لم تجرؤ عليه الحكومات الاستعمارية إبان حكمها الغاشم.

وإذا كنا لا نطمع في عدول كثير من هؤلاء الرؤساء عن خطتهم في القريب العاجل، فإنا نرى أن من واجب الهيئات الشعبية الإسلامية أن تنشط لإحياء روح التعارف بين الشعوب الإسلامية والتعاون فيما بينها على ما يفيد بلادها قوة وتماسكاً، فإن الإخاء الإسلامي أكبر عون للشعوب الإسلامية على استكمال قوتها ونهضتها، وهو أكبر خدمة للأمن والسلام العالميين، وأقوم طريق لمكافحة رسل الحرب والشر والتدمير.

هيه يا قادة الإسلام! إن التاريخ يلقي عليكم اليوم أكبر عبء في إعادة وحدة الصف الإسلامي إلى قوته وتماسكه، وفي إعادة روح الإخاء الإسلامي إلى صفاتها وروعتها، وإلى إحياء المجتمع الإسلامي بأخلاق الإسلام وآدابه وروحه البناءة السامية، ولن تستطيع الحكومات أن تحول بينكم وبين هذا الواجب إذا أحسنتم طريق العمل برفق وبُعد نظر، فلم يبق إلا

القوة في عزائمكم والإخلاص في نياتكم، وتطهير صفوفكم من المستغلين والمتاجرين باسم الإسلام ودعوته، فإن تقويم الصف واستقامته من ألزم آداب الصلاة وأهم أسباب الثواب فيها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾.

❀ ❀
❀

الإسلام أهدى سبيلاً[1]

منذ أفاق العالم الإسلامي على ضجيج الحضارة الغربية تصكُّ مسامعه وتبهر أبصاره، وهو في شغل شاغل بإصلاح ما تخرَّب من أوضاعه بعد غَفْوَتِهِ الطويلة التي امتدت مئات السنين، وكان من أول ما عني به بعد تحريره شيئان: محاربة الجهل، وتحسين أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية، أما محاربة الجهل فقد مضى في ميدانها شوطاً طويلاً، يبشر بخير عميم، وأما تحسين الأوضاع الاقتصادية فما يزال بطيء الخطى يمشي بحذر وتؤدة، يعوقه عن الانطلاق كانطلاقه نحو العلم، أمران يحسن الوقوف عندهما قليلاً:

أما الأول: فهو جهل المسلمين وبخاصة جمهور من يحمل لواء العلم الشرعي فيهم بما يحتويه الإسلام من حلول جذرية مفيدة لتخلفهم الاقتصادي والاجتماعي، وهي حلول تنسجم مع طبيعتهم ومع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، وهي من المرونة بحيث يمكن تطبيقها في عصرنا هذا بما يعتبر مثلاً رائعاً لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية عن طريق عملي إنساني بناء عادل عامل على نشر الحب والسلام.

---

(١) السنة الثالثة، العدد الثالث: جمادى الأولى (١٣٨٢) = تشرين ١ (١٩٦٢).

لقد جُهلت هذه التعاليم أو تجوهلت في شريعة الإسلام عمداً أو غفلة، وأبى كثيرون من حملة فقه الشريعة أن تنفذ أبصارهم إلى مرامي نصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة وأهدافها، بل وقفوا عند ظاهر هذه النصوص كما فهموها أو أخذوها عمَّن سبقهم ممن عاشوا في عصور الغفلة والتخلف والانهيار، وكان بإمكانهم أن يأخذوها عن رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين والسلف الصالح رضوان الله عليهم، وهم حملتها ونقلتها إلينا، وأعلم منا بمقاصد الشريعة وأهدافها، وأغْيَر منا على دين الله ومصالح عباده، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، وقاوموا كل من يريد أن يفعله، زاعمين أن ما فهموه وفهمه المتأخرون ممَّن سبقهم هو الدين. ولو كان الأمر كذلك، ولو كان الإسلام مفهوماً على حقيقته في المسلمين ومعمولاً به بينهم منذ مئات السنين لما انهار العالم الإسلامي وذهب سلطانه وتحكم أعداء الله في أوطانه.

وأما الثاني: فهو هذا الافتتان بالمذاهب الاقتصادية التي وردتنا من الغرب، فقد فتن بها فريق من شبابنا على جهلهم بما في الإسلام من حلول هي خير من هذه المذاهب وأجدى، وأداهم افتتانهم بها إلى التعصب لها تعصباً أزرى بالإسلام وحلوله - المجهولة لديهم - وشريعته، مما أثار ثائرة الجماهير المسلمة في بلادنا، وحُق لها أن تثور، فمن الذي يستطيع أن يصبر على سفاهة الجهل على العلم، وتطاول الباطل على الحق؟

إن المذاهب الاقتصادية الغربية بما فيها الاشتراكية والشيوعية، وليدة الأوضاع الاقتصادية السيئة عند الغربيين من جهة، والفراغ التشريعي الصالح لمعالجة تلك الأوضاع من جهة أخرى، وكلاهما لا ينطبق على واقع الحال في بلادنا.

إن الاشتراكية الغربية ولدت في بيئة كان يحشر فيها آلاف العمال في المصانع كما يحشر الحيوان في الزرائب، فلا صحة ولا لباس ولا طعام ولا راحة ولا حقوق ولا كرامة، ومن هنا بدأ التفكير بوجوب انتزاع المال من أيدي أصحابه لمنع ظلمهم وشرههم وإجرامهم هناك.

وأما الشيوعية فقد قامت في بلاد كان كل ما فيها من أرض وحيوان وإنسان ملكاً للقيصر ولحفنة من الأشراف ورجال الدين، فانطلقت الشيوعية من مرحلة الصفر، واستطاعت بعد أربعين سنة أو تزيد أن تجعل الشعب يجد لقمة العيش ويقف على قدميه، وبذلك تبدو في نظر شعبها أنها فعلت لهم شيئاً وإن منعت عنهم أشياء كثيرة أهمها الحرية، فهذا لا يهمهم ما داموا جائعين، والجائع همُّه أن يأكل، قبل أن يكون همه أن يتكلم!..

فهل هذا ينطبق على بلادنا؟ هل نحن الآن في نقطة الصفر لتكون الشيوعية إنقاذاً لنا؟ إني أترك الجواب على هذا لعمالنا وفلاحينا الذين لا يطلبون الآن إلا أن تكون لهم حقوق بقية المواطنين الشرفاء وكرامتهم..

وإذا كان تطبيق الشيوعية في بلادنا رجوعاً بنا إلى نقطة الصفر، وهي النقطة التي لم نعشها في تاريخنا منذ أكرمنا الله بالإسلام، فلماذا لا يثور العقلاء والمخلصون في وجه الشيوعية والمذاهب التي تقترب منها؟ ولماذا لا يقوم الصراع الفكري بين دعاة الإسلام وبين الشيوعيين الذين يرى فيهم أولئك الدعاة عاملاً من عوامل التأخر الاقتصادي والاجتماعي في بلادنا، ولا يدعو إلى هذا إلا كل غبي أو فوضوي أو مأجور؟

وشيء آخر يجعل الشيوعية والمذاهب الاشتراكية الغربية كلها عاجزة عن تحقيق السعادة والاستقرار في بلادنا وفي بلاد العالم، هو أنها لا تعنى إلا بالرخاء المادي وحدة، وهي تزعم أنها متى ضمنت للجماهير رفاهيتها سعدت، كأن الإنسان حيوان أكول، لا حيوان مفكر ذو روح! ويكفينا في الرد عليها واقع الشعوب التي بلغت ذروة الرفاهية المادية كما في البلاد السكندنافية، وهي مع هذا لا تشعر بالسعادة تماماً باعتراف أهلها أنفسهم، إن الشيوعية أو الاشتراكية المادية إذا ضمنت ثورة البطن حين يشبع، فبماذا تضمن ثورة النفس الإنسانية على القيم الإخلاق التي لا سعادة للمجتمعات بدونها؟

وبعد، فإن تخلفنا الاقتصادي لا يعالجه علاجاً حكيماً واقعياً جذرياً إلا الإسلام، كما هو في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة واجتهاد أئمة الفقه وعلماء السلف الصالح، وفي التطبيق العملي له في عصور الإسلام الزاهرة، ويوم يوكل إلى العقول المؤمنة النيِّرة تطبيق هذا الدين، وعرض حلوله على

الناس، ويُقصى من طريقه الجاهلون والغافلون والدجالون والمتاجرون باسمه، يومئذ تعرف أمتنا أي طريق قد مهد لنا الإسلام نحو حياة سعيدة ومستقبل حافل بالتقدم والاستقرار.

إن على دعاة الإسلام المخلصين الواعين أن يمضوا في معركتهم ضد الشيوعية الكافرة والاشتراكية المادية من جهة، وضد الاستغلال الذي يريد أن يبقي على الأوضاع السيئة، والجمود الذي يريد أن يغطي وجه الإسلام الجميل وما فيه من تشريع «يشترك» فيه كل مواطن بنعمة الأمن والكرامة، من جهة أخرى.

وإن استمرارهم في هذه المعركة وخوضها بثبات وإصرار، يتوقف عليها مصير الإسلام تجاه هذه الغزوات الفكرية الأجنبية في هذه المنطقة الحساسة من العالم، بل إن عليها يتوقف مصير المنطقة كلها، فالإسلام هو أقوى حائل دون الغزو الشيوعي لها، فإذا تغلبت الشيوعيّة عليه لا سمح الله، كان ذلك بدء تطور خطير في مصير شعوب هذه المنطقة وعقائدها وحياتها الاقتصادية والاجتماعية. ولا سبيل لإيقاف هذا الخطر الداهم إلا بالإسراع بالإصلاح الحكيم الذي جاء به الإسلام من لدن حكيم عليم، والإسلام واضح الحدود والمعالم لا يحابي فئة على حساب فئة، ولا يقبل بمهادنة فريق من الظالمين ومحاربة آخرين.

إن محاربة الجحود والجمود على قدم سواء، أمران

تحتمهما معركة الإسلام اليوم، في سبيل قيام مجتمع إسلامي مثالي، لا أثر فيه للظلم ولا للمهانة ولا للحرمان، ولا يسوده الحقد ولا الظمأ إلى سفك الدماء، وهتك الأعراض، وسلب الأموال، وإذلال الكرامات. .



إلى أين المسير[1]

كان مجتمعنا حتى ثلاثين سنة خَلَتْ ـ برغم تخلُّفه وتقهقره ـ يعيش على بقية من الأخلاق التي عُرفنا بها منذ أكرمنا الله بالإسلام: من صدق الحديث، والوفاء بالوعد، وأمانة الذمة، وحُسن الجوار، وتقدير المواهب، وكرم الضيافة، واستقامة العمل، وغير ذلك مما لا نزال نذكر بقاياه يوم كنا أطفالاً، ولا يزال يذكره الشيوخ منا ويتحدثون عنه باعتزاز يشوبه الأسى على فقدانه في مجتمعنا الحديث.

لقد كان يُقال لنا: إن العلم يهذب الأخلاق ويوقظ الضمائر، وإن الحضارة تحسن علاقات الناس بعضهم ببعض، وتعلمهم وجوب احترام القانون، والتقيد بالنظام.

ونحن الآن لا نشك في أننا متعلمون أكثر من تلك الأيام، ومتحضرون أكثر بكثير من أيام آبائنا وأجدادنا، ولكن أحداً لا يشك في أننا في تلك الأيام كنا أحسن أخلاقاً، وأوفى رعاية للحقوق الاجتماعية مما نحن عليه اليوم.

لقد كانت كلمة التاجر الشفوية تلزمه بما لا تلزمه الآن

(١) السنة الثالثة، العدد الرابع: جمادى الآخرة (١٣٨٢) = تشرين ٢ (١٩٦٢).

العقود المسجلة في دوائر العدل، أو دوائر الدولة الأخرى، وكانت حقوق الناس مصونة دون أن يأخذ صاحب الحق وثيقة بحقه، أكثر مما تصان حقوق الناس اليوم برغم السندات والكمبيالات، ولم يكن يعرف الناس فيما مضى شيئاً اسمه «ادعاء الإفلاس» ومصالحة أرباب الديون على نسبة معينة ضئيلة من ديونهم، بل كان التاجر إذا أحس بتأخر أحواله المادية باع كل ما يملك من دار يسكنها، أو حلي تلبسها زوجته ليظل محتفظاً بشرفه وحُسن سمعته بين الناس، وكان أصدقاؤه يسرعون إلى نجدته، فيتحملون عنه ديونه من غير أن يستمسكوا بوثيقة تثبت حقوقهم، ولهم في هذا نوادر تبعث على العجب، وتحمل على الفخر والاعتزاز.

كان في كل بلد علماء يدرِّسون للناس ولطلابهم، ابتغاءَ وجه الله لا يريدون جزاءً ولا شكوراً، وكان في كل بلد، بل في كل حي من كل بلد أناس من الموسرين عرفوا بالأريحية والسخاء، فيتفقدون العائلات المستورة في حيهم، ويشركونهم معهم في أفراحهم ومسراتهم في المواسم والأعياد، ومن الذي لا يذكر - من هو في مثل عمرنا - الولائم العامة التي كانت تقام في رمضان في البيوت، منها ما يكون للأصدقاء، ومنها ما يكون للمحتاجين والفقراء؟

فمن منا لا يشكو اليوم من فساد الذمم، وفقدان الوفاء، وانشغال كل إنسان بنفسه عن أقربائه وجيرانه، وانتشار الرشوة بين الحاكمين والموظفين، وإخلاف المواعيد، وعدم النصح في

أوساط العمال والتجار والصناعيين؟ واستغلال الشعارات الأخلاقية والوطنية والسياسية بين أكثر المشتغلين بالسياسة وأكثر الوزراء والرؤساء والحزبيين؟..

مثل هذا لم يكن بمثل هذا القدر في مجتمعنا القديم، فما هي العوامل التي أدت إليه؟ أهو الجهل؟ نحن اليوم أكثر علماً، أهو التخلف؟ نحن اليوم أكثر رقياً، أهو الفقر؟ نحن اليوم أكثر ثروة وغنى!

ليس لذلك سبب فيما نعتقد سوى ضعف الدين في نفوس الناس، ولضعفه عوامل كثيرة، من أهمها في رأيي انتشار الأفكار العلمانية التي تزري بالدين، أو تقلل من أهميته، أو تزعم أنه من عوائق رقينا وتقدمنا، وأنه عنوان الرجعية والطائفية والجمود، وأنه لا يتفق مع العلم وسير الحضارة، إلى ما أشبه هذه الدعاوى الكاذبة التي هي صدى للتفكير الغربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا.

وقد نشأ عن اقتناع بعض المتعلمين عندنا بهذه الأفكار أن أنشؤوا أحزاباً سياسية تقوم في أساسها على محاربة الدين، ومهاجمة الداعين إليه بشتى نعوت الرجعية والجمود والعمالة ومحاولة إقصائهم بكل الوسائل غير المشروعة وغير الشريفة عن وظائف الدولة، وبخاصة التوجيهية منها، وإقصائهم عن مجالس النيابة عن الشعب، وعن مقاعد الحكم، وعن وسائل الدعاية والإعلام.

ترى ماذا فعل هؤلاء بالأمة في موقفهم هذا من الدين؟ لقد أنشؤوا أجيالاً تضج دوائر التعليم من سوء أخلاقها، وتضج دوائر الأمن والشرطة من سوء تصرفاتها، وتضج دوائر الدولة من سرقاتها أو خياناتها أو إهمالها أو رشواتها، أو إضرارها بالمصلحة العامة في كل عمل تتولاه من وزارة أو نيابة أو وظيفة أو أي أمر فيه مسؤولية وله صلة بمصالح الشعب. فهل هذه هي التقدمية؟ أم هذا هو الرقي؟ أم هذا هو النهوض بالأمة، وهو ما أخذت هذه الأحزاب على عاتقها القيام به كما تدعي؟

إن أحداً لا ينكر أن أمور الدولة في عصرنا ليست سائرة على ما يرام وأن أمتنا ليست على مستوى الأحداث التي تعيشها، وأن قوانيننا ليست كافية لردع المسيئين وإيقاف هذه الموجة من الفوضى والانحلال، فلماذا لا نجرب العودة إلى تربية الدين لضمائرنا وعقولنا؟ وليس لنا طريق غيره لإصلاح ما نشكو منه، أما آن لتلك الأحزاب أن تتقي الله في مصير هذه الأمة ومستقبلها؟.

لقد كان الشاعر الفرنسي المشهور «فيكتور هوجو» يقول: يجب أن يرسل إلى السجن كل أب يرسل ابنه إلى مدرسة كتب على بابها: لا نعلم الدين هنا. ولقد أصبحت العناية بالدين الآن أمراً متفقاً عليه بين الكنيسة والحكومات في جميع ديار الغرب، وما ذلك إلا لشعورهم بالانهيار المخيف الذي أصابهم منذ استهانوا بشأن الدين وتربيته. هذا وهو دينهم، فأي مخلص

لأمته ووطنه لا يعمل على تقوية روح الدين وآدابه وأخلاقه في جماهيرنا، وديننا هو الإسلام؟.

❀ ❀
❀

فيم تراق هذه الدِّماء؟[1]

في اليمن حروبٌ ومعارك تخرب فيها البيوت، ويقتَّل فيها الرجال، ويشرَّد فيها الأطفال، ويؤيَّم فيها النساء، والأرض التي تجري في جبالها وسهولها هذه المعارك، أرض عربية من أعزِّ ديار العربية والإسلام، ففيم هذه كله؟

أهي حرب مع الاستعمار؟ لو كانت كذلك لأقمنا الدنيا وأقعدناها، وقذفنا الاستعمار بأقذع ألفاظ السباب والشتائم.

أهي حرب مع إسرائيل؟ لو كانت كذلك، لسجل التاريخ للشعب اليمني أروع صفحات المجد والبطولات، ولهرع المسلمون والعرب من كل فج عميق يشتركون مع اليمنيين في معارك الحرية والكرامة.

أهي حرب دفاعية يدافع فيها الشعب اليمني عن استقلاله وكيانه وحريته؟ لو كان كذلك لكان من واجب كل عربي ومسلم أن يمد الشعب اليمني بكل ما يملك من رجال ومال وسلاح.

إنه - بكل أسى - ليس شيئاً من ذلك كله.. وإنما هو صراع بين أبناء وطن واحد، ويزيد هذا الصراع ضراماً ما ترسله بعض الدول العربية إلى اليمن من رجال وأسلحة وذخائر

---

(١) السنة الثالثة، العدد الخامس: رجب (١٣٨٢) = كانون ١ (١٩٦٢).

وطائرات، بحجة حماية الثورة وإنقاذ شعب اليمن، وما كنا نعهد قبل اليوم أن إنقاذ شعب يعني تقتيله وتخريب دياره، وتشريد أطفاله، ولقد كنا نعلم أن بعض الدول تؤيد الثورات التي تقوم بجوارها، إذا كان في فشل هذه الثورات فشل للنظام القائم في الدولة المجاورة.

ولكن الأمر هنا ليس كذلك، فالجهة التي ترسل الجيوش والبواخر والدبابات والطائرات، تزعم أن نظامها ثابت لا يتزعزع، وأن شعبها محب لهذا النظام ومتفان في محبة رجاله، فليس إذاً إلا تدخل لزيادة عنف الصراع القائم بين الثورة وبين النظام القديم، فما معنى هذا التدخل؟

إن الذي يبدو للمتتبع للأوضاع السياسية العربية في الفترة الأخيرة، لا يجد معنى لهذا التدخل إلا أن يكون مقدمة لنفوذ واسع تبسطه الدولة المؤازرة للثورة، لتنتقم من جيران اليمن، وتهددهم في كل لحظة بإعلان الحرب عليهم، أو تبييت المؤامرات ضدهم لإشعال ثورات أخرى تزيد في اضطراب العالم العربي وانصرافه عن معالجة الأخطار المحدقة به إلى معالجة الثورات الداخلية في بلاده، وليس في هذا مصلحة للعرب بحالٍ ما، وليس من الأخلاق العربية والأعراف الدولية أن تبيح مثل هذه النوايا المخربة التي تزيد من فرقة الصف العربي وانشغال كل بلد بمشكلاته الداخلية بدلاً من الانشغال بالخطر المحدق بكل البلاد العربية من قبل الصهيونية والاستعمار.

إننا لا نقول لهؤلاء الذين سالموا جيرانهم الصهاينة، وأعلنوا الحرب على إخوانهم في الدين واللغة والوطن، وقذفوا بقواتهم الحربية لتقتيل شعب اليمن، والإمعان في خرابه، لا نقول لهؤلاء: لماذا لم توفروا هذه الجهود والجيوش والأسلحة والرجال لعدوة العرب الأولى إسرائيل؛ لأننا نعلم أن هناك خططاً مبيتة لتأمين إسرائيل من الغزو العربي المرتقب، ولفرض الاستقرار في الشرق العربي ولو على حساب القضية الأولى للعرب والمسلمين.

ولكنا نقول لهم ولكل من يشارك في حدة الصراع القائم اليوم على أرض اليمن: إن شعب اليمن شعب عزيز كريم، وإن بلاده في حاجة ماسة إلى الإصلاح لا التخريب، وجمع القلوب لا زيادة التفرقة، وازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية لا لتأخير هذا الازدهار عشرات السنين، وكلنا يشعر بضرورة الإصلاح في اليمن وإخراجه من عزلته وتخلفه وجهله ليسهم مع الشعوب العربية الأخرى في بناء حياة جديدة تساير ركب التطور الحضاري.

ومهما يكن من أمر الصراع بين الثورة وبين النظام القديم، فإن الشعب اليمني وحده هو الذي يختار الحكم الذي يريده، والحياة التي يجب أن يحياها، وإن من واجب الأخوة الإسلامية والعربية، أن تتوسط بين الطرفين المتنازعين لحقن الدماء وإرساء قواعد السلام والأمن والازدهار في تلك البلاد الشقيقة.

إننا لا نزال نذكر يوم وقعت الحرب منذ ثلاثين سنة تقريباً بين السعودية واليمن في حياة الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، كيف بادر زعماء العالم الإسلامي إلى التوسُّط بين البلدين، وكان من عداد الوفد الأمير شكيب أرسلان والسيد هاشم الأتاسي رحمهما الله والسيد الحاج أمين الحسيني أمد الله في حياته، وقد وفق الوفد في حسم الدماء، وإعادة الصفاء بين الفريقين المتحاربَيْن مما أدهش العالم يومئذ، وبرهن على قوة الأخوة الإسلامية والعربية بين حكام البلاد العربية وشعوبها، فهل مات الشعور في أيامنا بفضل الطامحين في التسلط والنفوذ؟ أم أن في الأمر يداً أجنبية استعمارية تزيد في اتساع الشقة، ضماناً لمصالحها، وإمعاناً في التفرقة بين أبناء البلد الواحد والأمة الواحدة؟.

إنَّ كلَّ رصاصة يطلقها المسلم على أخيه المسلم جريمة لا يغفرها الله، ولا يرضى عنها التاريخ، ولا يسكت عنها المخلصون..

وجهوا جيوشكم إلى إسرائيل ووفروا أسلحتكم لمعركتها المرتقبة إن كنتم للإسلام والعربية محبين مخلصين...

❁ ❁
❁

سلسلة من المؤامرات[1]

كنا نظنُّ أنَّ مأساة فلسطين كشفت لنا عن مواطن الضعف في حياتنا السياسية والأخلاقية، وأننا وعينا دروس الكارثة بحيث نعمل جاهدين لتلافي آثارها، وأننا غدونا أبصر بدسائس الأعداء ومؤامراتهم مما كنا عليه من قبل.

غير أن المؤسف أن أعداءنا ما برحوا ساهرين على باطلهم، للقضاء نهائياً على حقنا في فلسطين، وهم يحيكون كذلك من المؤامرات ما انكشف أكثره لأكثر الناس، وخفي بعضه على كثيرٍ منهم.

ومن أهم المؤامرات المكشوفة ما كان يدبر في اجتماعات جمعية الأمم المتحدة من مشاريع قرارات يراد حمل الجمعية على إقرارها، ولئن أحبطت أكثر هذه المساعي، فإننا لم نكسب شيئاً في هذه الدورة لمصلحة إخواننا المشردين من أبناء فلسطين مما يحفظ لهم حقوقهم في أراضيهم المغتصبة وثرواتهم المسلوبة، ومع هذا فما يزال كثيرون يعتقدون أن إحباط مشروعات القرارات التي أعدتها إسرائيل وحليفاتها من دول الاستعمار، كان نصراً كبيراً لنا لم نكن نتوقعه!..

---

(١) السنة الثالثة، العدد السادس: شعبان (١٣٨٢) = كانون ٢ (١٩٦٣).

ومن هذه المؤامرات المكشوفة، تشتيت شمل الدول العربية، وشغلها في خلافاتها الداخلية عن معالجة الخطر المتوفز، والتآمر المسموم.

وفي رأينا أن أهم المؤامرات المستورة، هي الحملة المسعورة الظالمة على الهيئة العربية العليا وعلى رئيسها الزعيم المجاهد المؤمن الصابر الحاج أمين الحسيني، حتى وصلت المؤامرة الدنيئة إلى إيذاء بعض أعضاء الهيئة بما يسيء إلى سمعتها، ويشغلها عن التفرغ التام لحمل أعباء القضية الفلسطينية بما عهد عنها من نشاط أقضّ مضاجع إسرائيل، ودول الاستعمار، والضالعين معها.

إن كل مسلم وكل عربي عاصر المأساة الفلسطينية في سنواتها الأخيرة يعترف ـ شاء أم أبى ـ بأن الهيئة العربية العليا هي الهيئة الوحيدة التي تمثل عرب فلسطين تمام التمثيل، وأنها هي التي قادت جهاد الفلسطينيين قبل كارثة التقسيم أروع جهاد وأشده ثقلاً، وأن الحاج أمين الحسيني هو الرمز الحي لكفاح فلسطين ضد الصهيونية والاستعمار، بما قام به من جهود لتدويل قضية فلسطين حتى جعلها قضية العالم الإسلامي كله، وبما تعرض له من محن ومؤامرات تهد كيان دولة قائمة بذاتها، ولكنها لم تثن عزيمة هذا الزعيم العظيم عن متابعة النضال في سبيل تحرير فلسطين، فظل بعد الكارثة يجمع القوى، وينبه المسؤولين في البلاد العربية والإسلامية إلى خطر قيام إسرائيل في قلب العالم العربي، بينما كان بعض المسؤولين العرب، قد

انتهوا إلى اليأس من تحرير فلسطين، وآخرون كانوا يساومون على حقوق أهلها بما يكفل لهم ولبلادهم شيئاً من «المعونات» الاقتصادية وغيرها. ولو أراد زعيم فلسطين أن يساوم على قضية بلاده ويطأطئ رأسه لإرادة المستعمرين لكان اليوم صاحب ملايين يعيش في رغد من العيش يفوق رغد الملوك والرؤساء.

إن من المؤسف أن يتمكن الاستعمار بواسطة عملائه المستورين من تشويه جهاد هذا الرجل العظيم، حتى أدخلوا في أذهان بعض الناس ما يشكك في إخلاصه وروعة جهاده، مع أن هؤلاء لم يكونوا قد خلقوا بعد، وبعضهم كان يتعاون مع الاستعمار البريطاني حين كان الحاج أمين الحسيني يقارع الصهيونية والاستعمار بما لا يتفق مع ضعف أبناء فلسطين، وموارد القوة عند الطامعين فيها والمتآمرين عليها، حتى اتهمه خصومه من الفلسطينيين يومئذ بأنه سلبي عنيف في معالجة قضية فلسطين، أفليس من العجيب بعدئذ أن يأتي اليوم من يزعم أنه كان مسؤولاً عن ضياع فلسطين؟

إن ما تلقاه الهيئة العربية ورئيسها في هذه الفترات الخطيرة، من هجوم وافتراء ومضايقة في بعض البلدان العربية، قد جاء متفقاً تماماً مع نشاط إسرائيل في جمعية الأمم لإسدال الستار نهائياً على قضية فلسطين، وهذا ما يدعونا ويدعو كل عاقل مخلص إلى الربط ما بين نشاط إسرائيل وحلفائها وبين الهجوم والافتراء الرخيص على الهيئة العربية ورئيسها، وبذلك

سيثبت التاريخ مرة أخرى أن كارثة فلسطين ما كانت لتقع، لولا ارتباط بعض المسؤولين في البلاد العربية بدول الاستعمار وخضوعهم التام لها، ولئن استطاعت دول الاستعمار أن تلعب دورها في مأساة فلسطين من قبل حين كان الوعي العربي والإسلامي في غيبوبة تشبه الشلل، فكيف استطاعت هذه الدول أن تلعب هذا الدور الخطير الحديث في التآمر على قضية فلسطين، بعد أن استيقظ وعي الجماهير بحيث لم تعد تطيق صبراً على بقاء خائن مأجور في صفوفها مهما كان؟ إن الجواب على هذا سيكشفه التاريخ، ويومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه.

وأخيراً، فإذا كانت الدول العربية تحب مخلصة أن تخدم قضية فلسطين، فما عليها إلا أن تمد يد العون والتأييد للهيئة العربية العليا ـ وقد اعترفت الجامعة العربية بها على أنها تقوم مقام حكومة فلسطين ـ لتستمر في أداء رسالتها التحريرية، وهي على كل حال من أبناء أمة مشردة معتدى عليها، فلا يمكن أن يساويها في اندفاعها نحو تحرير بلادها أحد أو بلد أو حكومة مهما أخلصت في العمل لتحرير فلسطين.

❁ ❁
❁

رمضان الإسلام ورمضان المسلمين[1]

شرع الله الصوم تهذيباً للنفوس، وتقويماً للأخلاق، وتثبيتاً للخير، وتقوية للأخوة، وتحريضاً على العبادة، وذلك كله يندرج تحت قوله تعالى في آخر آية الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقد حقق الصوم الإسلامي أغراضه، يوم كان الإسلام عقيدة تتغلغل في أعماق النفس المسلمة، وكانت العبادة فيه واسعة الآفاق تشتمل على كل خير وكل نفع للناس يراد بهما وجه الله ﷻ، وحينذاك كان المسلمون يستعدون لاستقبال شهر رمضان كما يستعد الأب لاستقبال ولده الغائب الحبيب، في فرحة تغمر نفوسهم وأرواحهم، فتحملهم على التشمير للعبادة، والتصفية للقلوب، والتهذيب للأخلاق، ويومذاك كان رمضان موسم الحب النبيل، والأخوة الصادقة، والتعاون على البر والتقوى.

فلماذا ضعفت معاني الإسلام في قلوب المسلمين وعقولهم، وانقلب شهر الصوم إلى ما نرى اليوم: موسماً للمآكل الدسمة، والأمسيات المشتملة على ما لا يرضاه الله من

(١) السنة الثالثة، العدد السابع: رمضان (١٣٨٢) = شباط (١٩٦٣).

لهو وطرب وسمر لا يحلو إلا بنهش الأعراض، وترديد الأكاذيب، حول من نخاصمهم من أفراد وحكومات.

هذا هو واقع المسلمين اليوم في المجتمع الإسلامي، مع أن واقعه لا يزال عند بعض الأفراد كريماً كما أراده الله، مؤثراً كما كان تأثيره في نفوس السلف الصالح.

إن الأدلة لا تنقصنا للتدليل على واقع الصوم في المجتمع الإسلامي الحاضر، ونكتفي منها بظاهرتين اثنتين هما أبعد ما تكونان عن جو رمضان «الإسلامي» وجو أخلاقه «الإسلامية».

أولاهما: هذه المعارك الإذاعية والصحفية التي بلغت ذروتها في الإسفاف والكذب والتهجم والإيذاء، حاكم يهاجم حكومة أو حكومات، وإذاعة تشتم شعباً أو شعوباً، وحزب يهاجم أحزاباً أو جماعات، كل ذلك لا لوجه الله والحق والخير - فما كان الشر سلاحاً للخير أبداً في شرائع الله - بل لإرواء غليل الحقد والانتقام والتشهير والتدمير لكل من لا يخضع لهذا أو يسير مع ذاك، ولكل من يزاحم هؤلاء، أو يحذر من أخطار أولئك.

لقد كان من أول ما تفرضه أخلاق رمضان على من يزعمون أنهم مسلمون، أن تصفو نفوسهم، وترتد إليهم إنسانيتهم، وإلا فلا أقل من أن يكون رمضان «هدنة» تمهد الطريق «للصلح» لا للإخاء، فصلات الإخاء قد مزقتها الأطماع والأحقاد والمؤامرات الاستعمارية الصليبية القديمة الجديدة.

فهل استمرار هذه المعارك العدائية في وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة، يمثل أجواء رمضان «الإسلامي» أو يمثل أخلاق رمضان الإسلامية؟

ثانيتهما: قضية شعب أريتريا المسلم ومحنته الحاضرة، فقد كانت الأمم المتحدة أقرت عام ١٩٥٠ بإقامة اتحاد فيدرالي بينهما وبين الحبشة، تحتفظ فيه أرتيريا بشخصيتها، ولكن الحبشة المتعصبة عدوة الإسلام وصديقة إسرائيل أقدمت أخيراً على احتلال هذه الدولة الفتية وضمتها نهائياً إليها متحدية بذلك الأمم المتحدة ظلماً وعدواناً، فلم يتحرك الضمير العالمي لهذه المأساة؛ لأن المعتدي من ورائه الاستعمار والصهيونية والصليبية الجديدة، والمعتدى عليه ليس وراءه أحد إلا «إخوانه» المسلمين في جميع أنحاء العالم!... واستمرت الحبشة في عدوانها المبيت على دين الشعب الأرتيري وعقائده بشكل سافر، فإذا هي تبني خمسمائة مركز تبشيري في أرتيريا لتنصير شعبها المسلم، وتمنع بناء المساجد أو دخول علماء المسلمين إليها، وتجبرهم على الاحتكام في أحوالهم الشخصية إلى المحاكم النصرانية، بعد أن قررت إلغاء المحاكم الشرعية، فالرجل والمرأة في الميراث سواء، وأموال الزوجة والزوج تصبح بينهما مناصفة، وحق الطلاق بيد المرأة لا بيد الرجل، وتعدد الزوجات ممنوع، والأعياد الإسلامية ملغاة، والمعاهد الإسلامية مغلقة، وتعلم الدين المسيحي إجباري على الطلاب المسلمين بينما يمنعون من تعلم دينهم، وتمضي الحبشة في

عدائها الحاقد على كل ما هو إسلامي، فلا تعين مسلماً في الوزارة أو رئاسة المصالح الحكومية أو «اختيارية» القرى، وليس في سفراء الحبشة في الخارج من المسلمين إلا سفيرها في الأردن فحسب، هذا مع العلم بأن سكان الحبشة المسلمين قبل ضم أرتيريا إليها يبلغون ٦٠٪ وهكذا تطبق الحبشة سياسة التنصير الوقحة التي سارت عليها إسبانيا في القرون الوسطى، بينما الحبشة تفعل ذلك في القرن العشرين وهي عضو في الأمم المتحدة!..

وتستمر الحبشة في عدائها السافر للإسلام والمسلمين، فتعلن عداءها للعرب أيضاً بتعاونها السافر مع إسرائيل، واستقدامها الخبراء اليهود إليها، وسماحها بتأسيس الشركات الإسرائيلية لاستثمار ثروة أرتيريا المعدنية والزراعية وغيرهما.

كل هذا يجري على مسمع العرب والمسلمين شعوباً وحكومات، فلا ترفع دولة عربية أو إسلامية صوتها بالاحتجاج على هذا العدوان والاضطهاد الديني والسياسي والوطني لشعب تربطنا به أوثق الصلات من دينية وتاريخية وسياسية..

فأين إذن هي «أخلاق رمضان» الإسلامية؟ أين نجدة الأخ لأخيه؟ أين غضبه لانتهاك كرامته والعدوان على دينه؟ بينما تتبارى بعض الحكومات العربية أو الإسلامية في استنكار عدوان أمريكا على كوبا، وبلجيكا على الكونغو، وأي دولة

قوية على أي شعب مستضعف، دون أن تربطنا به إلا رابطة الإنسانية المضطهدة!

ألست ترى معي أن رمضان المسلمين اليوم غير رمضان الإسلام بالأمس؟.



صحِّحُوا الطّريق!..[1]

ما من ريب في أن أمتنا تجتاز منذ مطلع هذا القرن مرحلة فاصلة بين عهدين: عهد الغفلة والركود الذي خيَّم علينا منذ مئات السنين بعد ذلك العهد الحضاري الزاهر الذي كنا ننعم به، وعهد اليقظة والحركة والإسهام من جديد مع الركب الحضاري في شتى ميادين العلم والفكر والحياة.

وطبيعي أن تضطرب نهضتنا الحديثة في خطاها أحياناً، وتضل طريقها أحياناً، ذلك أن ما عندنا من تراث أصيل هو من الخفاء على جماهيرنا، والركام المحيط به خلال عصور الانحطاط، بحيث لا يتمكن من أداء دوره الفعال في توجيهنا وجهة صحيحة نحو الحياة الكريمة التي نحاول أن نحياها في عصر النهضة الحديثة، وهذه الحضارة الغربية التي بهرت أبصارنا، هي من الاضطراب في فلسفتها الكفرية ومقاييسها الخلقية، بحيث بدت مقاتلها مكشوفة لأهل البصيرة والرأي من علمائها الاجتماعيين والأخلاقيين، مما يصرفنا عن اعتبارها المثل الصالح الذي نحتذيه في بناء حاضر كريم ومستقبل سعيد.

---

(١) السنة الثالثة، العدد الثامن: شوال (١٣٨٢) = آذار (١٩٦٣).

إن في الحضارة الغربية جوانب مشرفة، وهي الجوانب العلمية العملية، مما يحتم علينا أن نفيد منها ونستزيد بدون تحفظ أو تلكؤ، فالعلم في كل حضارة هو ثمرة الجهود العقلية للإنسان في سعيه وراء المجهول، واستفادته مما أودع الخالق العظيم في هذا الكون من قوى سخرها لمنفعته وانطلاقه نحو الخير والبناء.

وفي هذه الحضارة جوانب قاتمة، وهي الجوانب الفلسفية والروحية والأخلاقية، مما يوجب علينا الحذر الشديد، فلا نقبل شيئاً منها إلا بعد تجربته وبحثه بحثاً منطقياً هادئاً، وتلك عملية شاقة تتطلب أن تكون عندنا ذخيرة غنية من الإلهام المشرق، والروح المضيء، والفكر النفاذ إلى حقائق الأمور، حتى نميز الخير من الشر، والصالح من السيئ، والمفيد من الضار.

أتُرانا نملك هذه الذخيرة التي نحتاج إليها؟ أم نفقدها كما تفقدها كثير من أمم الشرق الوثنية التي ترتمي الآن في أحضان هذه الحضارة بخيرها وشرها، وتسلس قيادها كما يسلس الأعمى لقائده المبصر؟

لا شك في أننا نختلف عن هذه الأمم اختلافاً كبيراً من شأنه أن يجعل موقفنا من فلسفات الحضارة الغربية وأخلاقها، مبايناً - في كثير من النواحي - تمام التباين لموقف تلك الأمم منها.

نحن هنا في الشرق الإسلامي نملك عقيدة هي أقوى العقائد وأصحها وأرقاها وأقدرها على بناء المجتمعات بناءً سليماً، وجعل طريق النهضات طريقاً مستقيماً.

ونحن هنا في الشرق الإسلامي نملك تراثاً حضارياً هو أسمى وأنبل ما تملكه أمة على ظهر الأرض من تراث حضاري يجمع إلى مزاياه العلمية والفكرية، خصائصه الروحية والإنسانية التي تجعل للحياة قيمتها وكرامتها، وللإنسان سموه وشرفه.

وهذا ما لا تملكه أمة من أمم الشرق المتهالكة اليوم على حضارة الغرب وفلسفاته المختلفة، لا تملكه الصين ولا الهند ولا شعوب جنوب آسيا الوثنية، ولا أفريقيا السوداء، ولا غيرها من شعوب الشرق، فكيف يصح أن يكون موقفنا من الحضارة الغربية كموقف الأمم الشرقية الوثنية؟

إذا كانت الصين وهي ذات الحضارة القديمة، قد وجدت في النظام الشيوعي ما ينهض بها من كبوتها، فذلك لأن الوثنية التي تعتنقها، دين لا يصلح للحياة ولا للحضارة بعد أن أشرقت الأرض بنور ديانات الله، وبخاصة الإسلام.

وإذا كانت كوريا وفيتنام ولاوس وكمبوديا وسيلان وغيرها أصبح المثقفون فيها يطيرون فرحاً لخروج المرأة عندهم إلى المجتمعات العامة ترتدي الزي الغربي وتقلد المرأة الغربية في كل مباذلها، فذلك لأن المرأة كانت عند هذه الشعوب

وأمثالها حيواناً مهيناً حقيراً، بذلك نادت دياناتها، وعلى ذلك نشأت تقاليدها وعاداتها.

وإذا كانت الهند مثلاً تسعى وراء الاشتراكية المادية لتخفف من آثار التخلف الفكري والاجتماعي في شعبها، فذلك لأن ديانتها وثنية تؤلّه البقر، وتحتقر الحياة، وتؤمن بالخرافة، وتقسم الناس إلى منبوذين وأشراف، وتتعصب ضد من يخالفها في الدين تعصباً لا مثيل له في أي ديانة وثنية على ظهر الأرض، حتى أن عظماء الهند وساستها ما برحوا يحاولون ـ دون فائدة ـ أن يقتلعوا من عقول شعبهم جذور تلك الأفكار والمعتقدات، وقد لقي الزعيم الراحل غاندي مصرعه من قبل جماعة من الهندوك المتحمسين لوثنيتهم؛ لأنه أخذ ينادي بتساوي جميع الهنادكة في الحقوق والمنزلة الاجتماعية، وبرفع المهانة عن المنبوذين وهم من صميم الشعب الهندي الوثني.

وإذا كانت أفريقيا السوداء الوثنية تفتن بمظاهر الحياة الغربية، وتترامى على أقدامها فذلك لأنها لا تملك رصيداً من عقيدة حية أو تاريخ حضاري.

إذا كانت هذه الشعوب تجد في الشيوعية أو الاشتراكية الغربية أو في مظاهر الحضارة الحديثة ما يأخذ بيدها من حياة البؤس والجهالة والتخلف التي تحياها، فإن شعوب الشرق الإسلامي تجد في دينها وفي تراثها الحضاري وفي أخلاقها الإنسانية ما يرفع مستواها، ويوجب عليها أن تقود ركب التقدم

العلمي والحضاري دون أن تأخذ عن الحضارة الغربية - غربية كانت أو شرقية - نظمها وفلسفاتها وأخلاقها.

إن الباكستان مثلاً لا تضطر إلى ما اضطرت إليه الهند، فالإسلام الذي تدين به الباكستان يساوي بين جميع الناس، وفي عدالة الإسلام ما يحقق لها التقدم العلمي والرفاهية الاقتصادية والتكافل الاجتماعي من غير حاجة إلى شيوعية أو اشتراكية غربية.

والشرق العربي - بمشرقه ومغربه - لا يحتاج في نهضته الحاضرة إلى شيوعية ملحدة، أو اشتراكية مجلوبة مرقعة؛ لأن له في نظام الإسلام وعدالته ما يجعله يعيش في سعادة لا تعرفها الشعوب التي تحكمها الشيوعية أو الاشتراكية، وإنما يحتاج شرقنا العربي إلى أن يأخذ من الحضارة الغربية صناعتها ومكتشفاتها وتنظيمها لاستغلال موارد الثروات الطبيعية في أراضيه الغنية.

والشرق الإسلامي والعربي لا يحتاج إلى أن يقتفي أثر الحضارة الغربية في «تحريرها» للمرأة الغربية بالشكل الذي نراه، فالإسلام قد حرر المرأة منذ أربعة عشر قرناً، وكل ما تحتاجه المرأة عندنا هو تنفيذ حقوقها التي قررها الإسلام، وإعدادها لتكون في مجتمعنا عنصراً «مفيداً» لا عنصراً «مثيراً»، وهي إذا أفادت حفظت كيان المجتمع وعملت على إسعاده، وإذا أثارت هدمته وأسرعت بشقائه.

الإسلام يجعل فينا «حساسية» عجيبة في انتقاء عوامل البناء. فلنكن في نهضتنا «إسلاميين» لا صينيين ولا كوريين ولا كوبيين ولا هنوداً ولا أفريقيين وثنيين!..

❁ ❁
❁

اتركوا الإسلام يؤدي رسالته[1]

في غمار الحدث التاريخي العظيم الذي تعيشه أمتنا اليوم، حدث الوحدة الاتحادية بين الأقطار الثلاثة: مصر والعراق وسورية، تلك الوحدة التي حددت معالمها، واتضحت حدودها، وعرف كل مسؤول فيها صلاحياته ومسؤولياته، في وسط هذا الحدث التاريخي العظيم تتجه قلوب الملايين من أمتنا إلى الله سبحانه بأن يجعل من هذه الوحدة مبدأ تحول تاريخي في حياتنا المعاصرة، تنتقل فيها من الضعف إلى القوة، ومن الشتات إلى اجتماع الكلمة، من التخلف إلى السبق في ميادين العلم والحق والكرامة، حتى تشمل العرب في شتى أقطارهم، ثم تشمل المسلمين في مختلف ديارهم فيتحقق قول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

ولا ريب في أن للأساس الذي يقوم عليه مثل هذا الحدث التاريخي العظيم أثره في نجاحه أو فشله، فإن كان قوي الدعائم عميق التجاوب مع عقيدة الأمة وأخلاقها الصالحة ومثلها العليا، عميق التفهم لحاجات أمتنا ومشكلاتها، بعيد النظر في حل هذه المشكلات ومعالجتها علاجاً بعيداً عن

---

(١) السنة الثالثة، العدد التاسع: ذو القعدة (١٣٨٢) = نيسان (١٩٦٣).

التقليد والعاطفة، لا يهدف إلى إرضاء فئة على حساب فئة، متميزاً بالأصالة وسيادة الشخصية الذاتية، وتوخي الخير وسيادة الحق وقوة الأخلاق وتمام الاستعداد لخوض معركة التحرير الكبرى، إن كان كذلك تأكد نجاحه بحول الله، وآتى ثماره الطيبة، وحقق الآمال المعلقة عليه.

ولعل من علائم الاستبشار بهذا الحدث التاريخي أن يعلن فيه أن الإسلام دين هذه الدولة الاتحادية، ونحن لا يمكننا أن نفهم أن هذا النص أوجد لإرضاء عاطفة الجماهير، وشأنه في ذلك شأن الدول العربية التي كانت ولا تزال تنص في دساتيرها على أن الإسلام دين الدولة، ثم لا إسلام يعمل بأحكامه، ويتقيد باتجاهه، ويتخلق بأخلاقه.

إن معركة أمتنا اليوم معركة جد لا هزل، وحياة لا موت، وعمل لا جمود، فطبيعة هذه المعركة أن نكون فيها جادين لا هازلين، نضع النصوص في دستور هذه المعركة لتتجسم أعمالاً تنفذ، وأهدافاً يسعى إلى تحقيقها، ومُثلاً نرفع شعاراتها ليرى العالم كيف نستطيع البناء أحسن ما كان يكون البناء، وكيف نبني الحضارة أقوى وأنفع وأكرم ما تكون الحضارة، وكيف نتقدم إلى الأمام ونرفع عن كواهلنا غبار الضعف والتخلف أثبت ما يكون التقدم رسوخاً واستقامة طريق ومحجة نور...

ومما لا ريب فيه لكل من أزال عن بصره وبصيرته أقنعة التعصب والحقد والجهالة أن الإسلام الذي بنى حضارتنا

الأولى، وكللنا بتاج المجد الخالد على التاريخ في فتوحاتنا الأولى، لا يزال كما كان قادراً على أن يعيد البناء ويسطر الأمجاد، إذا فهمناه بنفسٍ محبةٍ له، واعيةٍ لأهدافه، واثقةٍ بقيادته وصحةِ اتجاهاته، فما الذي يمنع من استفادتنا منه واعتمادنا عليه واستضاءتنا بنوره في معركتنا الجديدة؟

أهو الخوف من أن يقال عنا أننا متعصبون؟ ذلك خوف لا يتملك إلا نفوس الخائرين الذين لا يثقون بأنفسهم! وإلا فمتى كان التعصب للخير والحق والكرامة والسيادة والاستقلال أمراً يخافه المجاهدون الشرفاء؟

أم هو الخوف من أن يقال أننا رجعيون؟ ذلك خوف لا يمتلك إلا النفوس الجاهلة تمام الجهل بقيمة هذا الإسلام العظيم وتقدميته البناءة وانطلاقته الخيرة نحو المثل العليا التي تتعشقها نفوس الأحرار في كل عصر ومكان!

أم هو الخوف من أن يقال عنا أننا طائفيون؟ ذلك خوف لا يستولي إلا على قلوب الذين لا يعرفون سماحة هذا الدين العظيم، أو الذين يملأ نفوسهم الخوف من سماحته تمسكاً بأوهامهم وأبطاليهم، وإلا فمتى كان الاعتراف بديانات الله، والسماح لأبنائها أن يعيشوا وَفْق ما تحتِّمه عليهم دياناتهم، تعصُّباً طائفياً يخشى منه؟ متى كان ذلك؟ ومن يجرؤ على القول بذلك إن كان ممن يحترم نفسه، ويريد أن يحترمه الحق والعقل والتاريخ؟

يجب أن يؤدي الإسلام دوره الفعال السريع البناء في منعطفنا التاريخي الجديد وفي كل منعطف يقوم في المستقبل، فهو الذي تلتقي عليه جماهيرنا، والتقت عليه من قبل في وحدة لا يعرف التاريخ لها مثيلاً، وياما أحيلاها إذا عادت اليوم من جديد!.

وهو الذي صنع ويصنع لنا شخصيتنا المستقلة في كل شؤون الحياة بما وضع لنا من أهداف تتجاوب معها نفوسنا منذ أن شرفنا الله بالإسلام حتى اليوم، فلم نعد نحتاج إلى «استجداء» النظم والقوانين من غيرنا فندور في فلك تبعيتها، وإنما سمح لنا بأن «نستفيد» من تجارب غيرنا فيما لم يضع له من نظام، ولم يشرع له من أحكام، وفي «الاستجداء» تبعية ذليلة، وفي «الاستفادة» عقل نيِّر وحياة رحبة كريمة.

وهو وحده الذي يقرب الوحدة العربية الكبرى من غير دماء ولا ثورات ولا حقد ولا كراهية، وحدة تمشي إليها الشعوب العربية والصالحون من حكامها بخطى سريعة تفوق تقدير كل خبير في سرعتها ونجاحها.

وهو الذي يجعل وحدتنا العربية مكان احترام وتقدير يجعلان شعوب العالم الإسلامي تلتقي حولنا، وتهفو قلوبها إلينا، ونؤلف معها - بطريق ما - وحدة رائعة لا يعرف التاريخ أنبل من أهدافها، ولا أكرم من غاياتها، ولا أسعد من ثمراتها.

هذا بعض ما نستفيده من اعتمادنا على الإسلام العظيم في مرحلتنا الحاضرة ومراحلنا المستقبلة، وإننا لنقدر في الذين وضعوا في دستور الدولة الاتحادية أن الإسلام دين الدولة أنهم يعنون هذا وأكثر منه، ومن هنا يحق لنا أن نتفاءل بما سيقوم به الإسلام من دور رائع في إقامة كيان هذه الوحدة الجديدة، ونجاحها في صنع التاريخ العربي والإسلامي من جديد صناعة تقفز بأمتنا من دور التخلف والتبعية إلى دور التقدم والريادة العالمية لركب الإنسانية المضطرب الشقي الحائر.

أيها الحاملون مشاعل النهضة! خذوا من إسلامكم وقوداً لا تنطفئ به مشاعلكم أبداً!...

❀ ❀
❀

حقيقة المعركة بين الإسلام والاستعمار[1]

منذ استولى الاستعمار على أكثر بقاع العالم الإسلامي، وهو يدأب على الكيد للإسلام بشتى الوسائل، لِمَا للإسلام من الأثر العظيم في إيقاظ روح الكفاح والنضال ضد المستعمر الغاصب، ولم يترك الاستعمار وسيلة إلا سلكها لتشويه حقائق الإسلام وإفساد معالمه وتاريخه وثقافته في نفوس المسلمين خاصة، حتى نشأ في العالم الإسلامي جيل من المثقفين هم من أجهل الناس بالإسلام الصحيح وأشدهم تحاملاً عليه وبغضاً له، واستطاع هذا الجيل بمساندة الاستعمار وتأييده أن يحقق للاستعمار كل ما يطلبه من إقصاء الأجيال الناشئة عن مورد الإسلام العذب، وغرس بذور الشك والعداء له في نفوسها، لئلا تلمس «كهرباؤه» المثيرة الموقظة شَغَاف قلوبها وأرواحها، فتستمر في الغفلة حيناً طويلاً، ثم تضطرب في مسيرها أجيالاً عديدة.

ومما سلكه الاستعمار للكيد بالإسلام ما أنشأه في العالم الإسلامي من مذاهب وديانات جديدة كالقاديانية والبهائية وغيرهما، وقد كان يرجو من تأييده لها ولدعاتها أن تفترق كلمة المسلمين على الإسلام الجامع لشتاتها، فينشغل بعضهم ببعض

---

(١) السنة الثالثة، العدد العاشر: ذو الحجة (١٣٨٢) = أيار (١٩٦٣).

ويثور بعضهم على بعض، وفي ذلك صرف للمسلمين عن التفكير في مقاومة الاستعمار جبهة واحدة ترسم الخطط وتوحد الأهداف.

وكان مما يزعج الاستعمار ويؤرق جفونه، أحكام الجهاد في الإسلام وهي التي توجب على كل مسلم أن يبذل كل ما يستطيع من نفس ومال وجهد لطرد الاستعمار من بلاده، حتى لا تعلو رأسه راية تذكر بالذل، ولا يملأ أرضه جنود يمثلون الغصب والنهب، وحكام يفسدون الأخلاق ويعملون على إخراج المسلمين من دينهم، ولقد ذاق الاستعمار - وبخاصة في الهند قبل تقسيمها - من ثورات المسلمين ورأى من بطولاتهم وتضحيات علمائهم ما جعله حانقاً على فكرة الجهاد في الإسلام، فصوَّر مستشرقوه الجهاد على أنه إجبار بحدِّ السيف للناس على الدخول في الإسلام، ودفع غلام أحمد القادياني المرتد على المناداة بنسخ الجهاد في شريعة الإسلام.

حدثني أخ كان بمصر يهيئ رسالة الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة[1]، وقد اختار موضوعاً لرسالته مشروعية الحرب ومعنى الجهاد في الإسلام، بأنه قد التقى في القاهرة أثناء ذلك بالبروفسور «أندرسون» المستشرق البريطاني المعروف ورئيس قسم تشريعات الأحوال الشخصية المعمول بها في

---

(١) هو الدكتور وهبة الزحيلي، ورسالته بعنوان «آثار الحرب في الفقه الإسلامي».

الشرق الإسلامي حديثاً والتابع لمعهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن. وجرى الحديث بينهما عن موضوع الرسالة فكان مما أشار به «أندرسون» على الأخ أن يؤكد في رسالته أن الجهاد يتناقض الآن مع ميثاق هيئة الأمم وشرعة حقوق الإنسان، ولذلك لم يعد الجهاد مما يتفق مع روح هذا العصر!..

وهكذا يعمل الاستعمار بكلٍّ وسائله على إضعاف روح النضال عند المسلمين ضد جرائمه وآثامه، وهي التي تبعثها فيهم فكرة الجهاد بأروع ما يكون الفداء والنضال..

ولعلَّ من أخطر مكائد الاستعمار ضد الإسلام والمسلمين أنه كان يشجع الحركات الدينية القائمة على الخرافات والبدع ودعوة المسلمين إلى ترك الدنيا والاتكال على الأقدار، بينما كان يترصَّد للحركات الإسلامية الواعية التي تتوخى إيقاظ العالم الإسلامي من سباته، كان يضطهد قادتها أحياناً، ويغري بهم بعض الحكام الضالعين معه أحياناً. وكان يشوه أهداف هذه الحركات التحررية وينشر في الغرب والشرق أن هذه الحركات طائفية متعصبة رجعية تريد إعادة الحروب الصليبية كما كانت في القرون الوسطى، هذا وهو يعلم أن موقفنا في الحروب الصليبية كان موقف المدافع عن غزواته الوحشية الرامية إلى احتلال بلادنا وسلب خيراتنا، وأننا قدمنا في تلك الحروب التي دامت مائتي سنة ملايين الشهداء في سبيل الله دفاعاً عن الحق والحرية والكرامة حتى انتهت بطرده نهائياً من هذه البلاد..

إن الاستعمار لا يخجل من تشويه الحقائق وتضليل الشعوب في كل ما يتعلق بمصلحته، فكيف إذا تعلق ذلك بالإسلام الذي يرى في يقظته اليوم شبحاً مخيفاً يهدد مطامعه وأحلامه بالزوال والانهيار، وهو يرى إمكانية التعايش السلمي مع كل معسكر في العالم مهما تباينت بينهما طرائق الحياة ومذاهب العيش، إلا الإسلام فإنه لا يرى إمكانية التعايش السلمي معه في طريق ما؛ لأنه يرى في الإسلام دين الحرية الذي يخلق الأحرار، ويقدم إلى معارك الحرية مواكب الشهداء التي لا تنتهي إلا بزوال سلطانه زوالاً نهائياً، وعند فرنسا وشعب الجزائر الخبر اليقين. . .

ولقد أثبت الاستعمار هذه الحقيقة في تصرفاته المتعددة في مختلف بقاع العالم، فعند تقسيم الهند إلى دولتين حابى في التقسيم الدولة الهندية على الدولة الإسلامية، وحين اعتدت الحبشة على «أرتيريا» العربية المسلمة لم يرتفع له صوت باستنكاز هذا العدوان الصارخ على قرارات الأمم المتحدة، وهو يسند اليوم بكل قوته ما تفعله الحبشة حليفة إسرائيل وصديقتها الكبرى في أفريقيا من عدوان على حقوق مسلمي الحبشة وهم يبلغون ثلثي سكانها، وعلى جارتها «الصومال» المسلمة من تقتيل وتذبيح وتهجير وإفناء. وها هو الاستعمار يأتينا بدليل جديد على هذه الحقيقة حين يقرر إلحاق قسم من الصومال أكثريته الساحقة من المسلمين بكينيا.

إن الاستعمار يهادن الوثنية واليهودية والشيوعية وكل

عدوان يقع على الإسلام والمسلمين من أي جنس وأي بلد وأي شعب في العالم، فهل بعد هذا شك في أنه يرى الإسلام عدوه الأكبر الذي لا يمكنه التعايش معه بحال من الأحوال؟

وفي سبيل محاربة الإسلام تهون على الاستعمار الجهود المضنية والأموال الطائلة التي بذلت وتبذل في إخراج الأفلام السينمائية والمسرحيات التمثيلية المشوِّهة لسمعة المسلمين، الحاقدة على أخلاقهم وفضائلهم، الداعية إلى الميوعة والانحلال بين جماهيرهم، لتقتل فيهم روح الرجولة والنضال التي عرف بها المسلمون الصادقون.

ولكن هل ينجح الاستعمار أخيراً في تحقيق أهدافه العدوانية على الإسلام والمسلمين؟ إنه إن كان لا يزال يلقى النجاح في أكثر خططه، فلقد شاءت إرادة الله ـ على ما يبدو ـ أن ينحسر سيله الطامي في هذا السبيل، بما بعث في العالم الإسلامي من حركات واعية تلتقي كلها على تخليص الإسلام مما يُكاد له، وإنقاذ المسلمين مما يُراد بهم، هذه الحركات التي أخذت تشقُّ طريقها بقوةٍ تتحدَّى الاستعمار ووسائله وأعوانه، وتقدم في سبيل الله الدماء والأنفس والأموال دفاعاً عن الحق والحرية وهما شعار الإسلام منذ أن أرسل الله به رسوله محمداً ﷺ.

إنَّ الإسلام أقوى عقيدة تقضُّ مضاجع الاستعمار وتقوِّضُ خيامه، وإن شباب الإسلام الواعين الصادقين هم أصدق الناس

وأقواهم وأثبتهم وأشدهم تضحية وأكثرهم فداء في محاربة الاستعمار أينما كان، وبأي شكل كان، فيا شباب الإسلام استمروا في معركتكم المظفرة ضد الاستعمار ومؤامراته وخططه وأفكاره، فلقد شاء الله أن يردَّ كيده في نحره، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾.



نهضتنا بين الأصالة والتبعية[1]

من سنن الله في الكون أن تستفيد كل أمة ناهضة من تجارب الأمم التي سبقتها في الحضارة، وأن تقتفيَ أثرها في ميادين العلم والصناعة والاقتصاد وغيرها، غير أن الأمة ذات الشخصية المستقلة المعتزة بتراثها الحضاري ـ كأمتنا ـ تأبى أن تذوب في كيان الأمم القوية المتقدمة في الحضارة، وتأبى أن تتبعها في كل مناهج حياتها ووسائل معيشتها، فلكل أمة ظروف خاصة بها وبيئة تنفرد بها عن غيرها، ولكل أمة طراز في التفكير قد تنفرد به عن غيرها وقد تلتقي معه، هذا عدا ما لها من تراث حضاري وتشريعي خالد، فإنها تأبى لها كرامتها الشخصية أن تتبع غيرها كالببغاء دون أن تستفيد من تراثها وحضارتها.

إن أمة كأمتنا في هذا الطور من أطوار نهضتها «تستفيد» و«لا تذوب» و«تأخذ» و«لا تستجدي» و«تنظر» و«لا تنبهر»، هكذا تفعل الأمم التي تريد الحياة متصلة بمن سبقها إلى الحياة من آبائها وأجدادها.

يوم خرجنا من جزيرتنا تحدونا تعاليم الإسلام إلى تحرير

(١) السنة الرابعة، العدد الرابع: جمادى الآخرة (١٣٨٣) = ت٢ (١٩٦٣).

العالم من وثنيته وجهله وتخلفه، ووجدنا أنفسنا وجهاً لوجه أمام الحضارتين الرومانية والفارسية. لم يمنعنا إسلامنا من الاستفادة من علومهما وثقافتهما، ولكننا حين استفدنا ذلك كنا موحدين لا وثنيين، فلم نستسغ أدب الوثنية ولا شعرها ولا فلسفتها بحال ما، فظل الجانب الوثني من حضارات الأمم التي اتصلنا بها مغلقاً لم نقبل عليه، ولم يضرنا ذلك في شيء، فما كنا نحمله من نور التوحيد وهدايته هو الذي وضعنا في سبيل إيصاله إلى الدنيا أرواحنا ودماءنا، وبذلنا من أجله كل غالٍ ورخيص عندنا، وهجرنا له أوطاننا ونساءنا وأولادنا، ولقد كنا محسنين إلى الإنسانية كل الإحسان حين أخذنا بوعي وتركنا بوعي، فما كان من خير الإنسانية أن تستمر الوثنية والضلالة والخرافة مسيطرة على عقول الناس بعد أن جاء الإسلام بهدايته ووحدانيته ونظمه.

وحين استفاقت أوروبا من غفلتها في القرون الوسطى على هدير حضارتنا، وتفتحت عيونها على أشعة شمسنا المشرقة الصافية، رأت من الخير أن تستفيد منا، فأخذت منا العلوم والفلسفة، ولم تأخذ منا الأدب والدين، ولو فعلت ذلك يومئذ لاختصرت من شقاء الإنسانية وتخبطها في الضلالة قروناً طوالاً..

هكذا تفعل كل أمة تشعر باستقلال كيانها الفكري والذاتي، فهل فكرنا أن ننهج نهج آبائنا في الاستفادة من حضارة غيرنا ومن نظمه ومن تجربته في مستهل نهضتنا الجديدة؟

إنَّ أقلَّ ما يحتِّمه واجبُ الوفاء لهذه الأمة التي نباهي بأننا نريد إعلاء شأنها ورفع مستواها أن لا نشطب بجرة قلم كل ما عندها من عقيدة وتراث وتشريع، افتتاناً منا بنظم لم تثبت صلاحيتها في بلادها فضلاً عن بلادنا، وفي محيطه بله محيطنا، وإن من المغفلة والغرور والسذاجة أن يظن بعض الناس أن ذلك ممكن وأنه يكتب له الحياة والبقاء والنجاح.

ولعل من أعجب المفارقات في عصرنا هذا أن تبلغ الثقافة والمعرفة ذروتها، وأن يكتشف الإنسان كثيراً من أسرار الفضاء الذي يحيط بكوكبه، ثم نرى هذا الجهل الفاضح بالإسلام ونظمه وتشريعاته سائداً الكثرة الساحقة ممن يحملون لواء المعرفة والثقافة، لا في الغرب والشرق فحسب، بل في بلادنا ممن يحسنون معرفة كل شيء عن غيرهم، ويجهلون كل شيء عن حضارة أمتهم وعقيدتها. فإذا كان بعض الناس يجهلون ذلك لظروف تاريخية لا يد لهم فيها فما هو عذر الذين يتجاهلونه عمداً وليس ذلك في مصلحة أمتهم ولا في مصلحة الإنسانية التي هي بأشد الحاجة إلى ما عندنا من خير وهدى؟

إن في الإسلام من المرونة ما يجعل نظمه في مختلف نواحي الحياة وبخاصة في الاقتصاد وغيره هي خير ما تتجه إليه الأنظار لإصلاح الأوضاع السيئة التي نشكو منها، ولا يحتاج الأمر إلا إلى تفهمه تفهماً واعياً بعيداً عن العصبيات والأهواء، وإلى رغبة صادقة مخلصة في أن نبني لأمتنا صرحاً متيناً

بسواعدنا وعقولنا لا نطلب فيه المساعدة من غيرنا إلا عندما تنقصنا المواد الأولية لهذا البناء.

وإذا كان التشريع الإسلامي يبهر أنظار الغربيين المنصفين وبخاصة فيما يتعلق بمشكلات الحضارة من اجتماعية واقتصادية، أفليس من الغريب أن يستهين بعض الناس عندنا بهذا التشريع زاعمين أنه لا يتفق مع تطور الحضارة وتقدم الإنسان؟

إننا لا نشك ـ وسيثبت التاريخ ذلك ـ في أن كل تجاهل للإسلام في مرحلتنا الحاضرة جهل أو مؤامرة، وليس في واحد منهما ما يشرف هؤلاء الجاهلين أو الحاقدين وأن أمتنا لا تغتفر لهم صنيعهم هذا، والتاريخ سينحى عليهم بأكبر اللائمة، فما في الأرض اليوم دين يحل مشكلات الحياة كالإسلام، ولا خلق ينشر الصفاء والسلام بين أبناء الإنسانية جميعاً كخلقه، وإن الذين يتجاهلون هذا الدين وأخلاقه قوم لا يصلحون للحياة أبداً.



وفاءً يا حكّام باكستان؟[1]

يعز على هذا القلم الذي وقف دائماً لنصرة القضايا الإسلامية في شتى أنحاء العالم الإسلامي، والذي أشاد دائماً بالحدث التاريخي الكبير ـ وهو قيام دولة الباكستان ـ ودافع عن قضاياها بحرارة حملت المغفور له لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان الأسبق أن يقول لصاحب هذا القلم ذات مرة وهو في دمشق: نحن لا نحتاج إلى إقامة سفارات لبكستان ما دمتم تحملون لباكستان هذا الحب وتدافعون عن قضاياها بهذا الإيمان، أقول: يعز على هذا القلم أن يكتب اليوم ولأول مرة في عتاب المسؤولين في باكستان بشيء من القسوة والشدة، وأن يحمل على بعض مواقفهم الداخلية لاعتقاده أن باكستان دولة غالية على العالم الإسلامي، وأن سلامتها متوقف على قوة بنيانها الداخلي، وتماسك رجال الحكم فيها مع جماهير الشعب تماسكاً لا ينفذ منه عدو متربص، ولا قوي متآمر، وقد كان فيما بلغنا من أنباء باكستان أخيراً ما يدل على انفصام العروة بين المسؤولين وبين الجماهير المؤمنة فيها، وهذا نذير سوء نعوذ بالله منه، ونسأل الله أن يقي باكستان الشقيقة أخطاره وآثاره.

---

(١) السنة الرابعة، العدد الخامس: رجب (١٣٨٣) = كانون ١ (١٩٦٣).

إن باكستان دولة قامت على أساس الإسلام، وبرَّرت أمام العالم وجودها مستقلةً عن الهند بأن جمهرتها الساحقة تختلف اختلافاً كبيراً شاسعاً بينها وبين الكثرة الساحقة في الهند في العقيدة والمثل والأهداف والأخلاق والتاريخ، ولقد بشر بها شاعر الإسلام وفيلسوفه محمد إقبال على اعتبار الإسلام أخلاقاً ونظماً وعقيدة ومبادئ لا على اعتباره جنسية أو قومية عرقية أو لغوية، وأتى المسلمون في قيام دولة باكستان بشيراً بعهد جديد تقوم فيه للإسلام دولة تمثل أهدافه وأخلاقه، وتطبق نظمه وتعاليمه، فكيف يجوز اليوم لحكام باكستان أن يتنكروا لهذه الحقيقة ويفجعوا المسلمين في أعز أمانيهم؟ وإذا تنكروا للإسلام فبماذا يبررون قيام دولتهم واستقلال شعبها عن بقية الهنود؟ . . .

إن الصراع القائم الآن بين حكام باكستان وبين الجماعة الإسلامية التي تمثل أرقى ما تمخض عنه الفكر الإسلامي الحديث من مبادئ واتجاهات، ليس هو صراعاً بين التقدمية والرجعية أو بين الوطنية والعمالة كما يحلو لبعض المسؤولين أن يصور ذلك في الصحف والإذاعة، ذلك أن الجماعة الإسلامية إنما تدعو إلى العودة إلى الإسلام والتزام تعاليمه وإنهاض الجماهير الباكستانية على أساسه وتحصينها بأخلاقه، فإذا كان ذلك رجعية في نظر حكام باكستان أفليس لنا أن نستنتج من ذلك أن الإسلام الذي صنع الدنيا صناعة جديدة والذي أنقذ مسلمي الهند من الوثنية وأخلاقها، هو في نظر

هؤلاء الحكام رجعية وتخلف؟ وإذا كان هذا هو رأيهم فبماذا يختلف موقفهم عن موقف أعداء الإسلام من مستعمرين وأمثالهم حين يتكلمون عن هذا الدين؟

إن المتتبع لأحداث الشرق الإسلامي في هذا القرن يرى أنه منذ قامت فيه جماعات تدعو إلى إحياء الإسلام في نفوس المسلمين لتنفض عنها آثار العبودية والتخلف والجهالة، بدأ المستعمرون يحاربون هذه الجماعات بشتى الوسائل والطرق، حتى إذا استقلت أكثر الأقطار الإسلامية حمل حكامها الجدد عن المستعمرين عبء محاربة هذه الجماعات تحت أعذار شتى لم يقتنع بها الرأي العام الإسلامي وسيقول التاريخ فيها كلمته العادلة، ونحن لا نريد أن نسيء الظن بالبواعث التي حملت حكام باكستان على موقفهم العدائي السافر من أكرم دعوة تدعو إلى تحرير شعبهم من الضلالة والجهالة والتخلف، ولكننا نقول لهم: إذا كانت هذه الدعوات التحريرية التي تمثلها الجماعة الإسلامية في باكستان رجعية وعمالة، فهل تكون الخرافات التي تعشش في أذهان الجماهير التي يمثلها بعض المنتسبين إلى العلم في باكستان هي التقدمية والرقي والنهوض؟ أم أن هؤلاء الحكام لا يرون التقدمية إلا إذا أقرتهم الجماعة الإسلامية على ارتباطهم بدول الاستعمار وتهافتهم على موائدها، واحتذائهم بها في كل مظاهر حياتها الاجتماعية؟.

بعض الشباب عندنا يجزعون من توالي هذه الضربات على دعوة الإسلام الفتية المحررة قطراً بعد قطر، ولكنهم

ينسبون أن هذا هو النتيجة الحتمية لتغلغل الاستعمار قروناً طويلة في العالم الإسلامي وحرصه على أن يهيئ من بين المسلمين تلاميذ له يحملون المعول الذي كان يحمله حتى يستمر مخططه العدواني على الإسلام وبلاده قرناً بعد قرن، فهل ينجحون؟ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.



رمضان ومؤتمر القمّة[1]

حين أكتب هذه الكلمات لا يبقى غير يومين لانعقاد مؤتمر القمة الذي دعت الجامعة العربية إليه ملوك العرب ورؤساءهم لمعالجة تحدي إسرائيل للعرب جميعاً في إصرارها على تحويل مجرى الأردن، وقطع النظر عن رأينا في موقف الملوك والرؤساء من هذه المشكلة فإننا نبتهل إلى الله أن يجعل هذا الاجتماع مثمراً ناجحاً يثبت فيه العرب للعالم ـ لأول مرة ـ بعد مشكلة فلسطين أنهم جادون لا هازلون، متفقون على مجابهة الخطر غير متفرقين ولا مختلفين، وأن لا يصدق فيهم قول الله تعالى في أعدائهم اليهود: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

ليس من شأننا أن نقرر الخطط العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية لمواجهة تحدي إسرائيل ومن يؤيدها من دول الاستعمار، ولكننا نرى من واجبنا أن نذكر المجتمعين في القاهرة بحقائق أعلنها الإسلام بكل وضوح لتحقيق النصر في كل معركة نخوضها مع أعدائنا، صغيرة كانت أم كبيرة، محدودة كانت أم واسعة، قصيرة أم طويلة، وأولى هذه الحقائق:

---

(١) السنة الرابعة، العدد السادس: شعبان (١٣٨٣) = كانون ٢ (١٩٦٤).

١ ـ أن النصر بين قوتين غير متكافئتين لا يتم إلا بعون من الله وتوفيقه، وعونُ الله لا يعطى إلا لمن اتقاه وأناب إليه ولزم حدود شريعته فيما أمر ونهى، فإن لم يفعل المحاربون ذلك خذلهم وتركهم إلى أنفسهم وأمضى فيهم سنته في الحياة: الأقوى يغلب الأضعف، والأكثر يغلب الأقل، والمستعد يهزم المتواني، والأمضى سلاحاً يفوز على الأضعف سلاحاً، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ولقد وعى المسلمون الأولون هذه الحقيقة تماماً فكانت نصب أعينهم في جميع معاركهم التي انتصروا فيها، وقد نشرنا في هذا العدد كتاب عمر إلى سعد بن أبي وقاص حين وجهه لحرب فارس، وهو من أثمن ذخائر الفكر الإسلامي المحارب.

٢ ـ أن اتحاد كلمة القادة والجنود وتصميمهم جميعاً على إحراز النصر له أثر كبير في الوصول إلى النصر، فإن اختلفت الكلمة وتباينت الأهواء، ولم تخلص النيات، كانت الهزيمة نتيجةً محتمةً وأمراً مقدوراً ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

٣ ـ أن للحرب أخلاقاً لا ينال النصر إلا بها، ومن أهمها وأقواها: شدة البأس، ورجولة الأخلاق، والصبر عند اللقاء. فإن انصرفت الأمة إلى حياة اللهو والعبث والمجون، واندفعت وراء غرائزها وشهواتها، وتركت لسفهائها أن يفسدوا أخلاقها، وَلمُجَّانها أن يثيروا غرائزها، ولعابثيها أن يصرفوها

عن حياة الجد والعمل والاستعداد، كان نصيبها الهزيمة المؤكدة مهما تبجحت الأقوال، وقرعت الطبول، وملأت الدنيا صراخاً وغروراً وهياجاً. ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

هذه حقائق يعرفها المجتمعون في القاهرة، بل يعرفها طلاب المدارس الابتدائية، وهي حقائق يؤيِّدها التاريخ ويثبتها الواقع القريب والبعيد، فهل يتذكرونها في هذا الاجتماع التاريخي؟

كل ما نعيش فيه يؤكد أننا لا نحسب للمعركة حسابها، وأننا مشغولون بأهوائنا عن النظر في مصائرنا، ولو كنا حقاً مصممين على القتال حريصين على النصر لانقلبت مظاهر حياتنا الحاضرة رأساً على عقب، فابتعدنا عن العبث، وألهبنا الشعور: شعور الأبطال المحاربين، لا شعور السفهاء المراهقين، ولكانت بلادنا الآن ثكنة عسكرية لا ترى فيها إلا متمرناً على القتال، أو متأهباً له، أو متزوداً من السلاح، أو مقتصداً في النفقات، أو راجعاً إلى الله يتوب إليه ويطلب نصره وتأييده.

نحن على أبواب رمضان، ورمضان شهر الصبر والصدق والحرمان، فإذا لم يكن قادتنا صائمين في بطونهم، صائمين في شهواتهم، صائمين في أخلاقهم وآدابهم فكيف يمكن أن نرتقب النصر من قيادتهم؟

وأنى للمهزوم في نفسه أن يحرز النصر لأمته؟.

أنى للمهزوم في ميدان صغير أن ينتصر في ميدان كبير؟.

أنى للعبيد أن يقودوا جحافل الأحرار؟.

أنى لمن يتحدى الله أن يطلب نصره وتأييده؟.

❁ ❁

❁

وجهة العالم الإسلامي[١]

منذ بعث الله رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، ودخل الناس فيه أفواجاً فراراً من ظلمة الشرك والظلم والجهالة، إلى نور التوحيد والعلم والعدالة، ارتضى المسلمون دينهم الذي رَضِيَهُ الله لهم وأنقذهم به وأعزَّهم في ظلاله، وأبوا أن يستمعوا إلى وسوسة الجن والإنس من أعداء الله الذين قضى الإسلام على منافعهم وتدجيلهم واستغلالهم للأفراد والجماهير، برغم ما بذل أعداء الله من جهود حربية أحياناً، وفكرية أحياناً، وسياسة أحياناً، حتى انفرد تاريخ الإسلام عن بقية الديانات بالمؤامرات المتواصلة عليه، وظل مع ذلك شامخ البنيان، ثابت الأركان، واضح المعالم، جلي الحقائق، شأن دين الله الحق الذي أنزله هدىً للناس وخاتمةً للشرائع التي كفلت لعباده الخير والسعادة والفلاح.

إن هذه المؤامرات التي ابتدأت من عهد أبي جهل وأبي لهب والوليد وعقبة وأضرابهم، واستمرت في العصر العباسي على أيدي زعماء الفرق الضالة التي اندست في الإسلام لتفسد عقائده، ثم تكتلت في الحروب الصليبية لتحتل قلب العالم الإسلامي ومركز إشعاعه، ثم تتوجت أخيراً باحتلال العالم

---

(١) السنة الرابعة، العدد السابع: رمضان (١٣٨٣) = شباط (١٩٦٤).

الإسلامي كله تقريباً، هذه المؤامرات لم تنته ـ كما يظن بعض الناس ـ باستعادة أكثر الأقطار الإسلامية حريتها وسيادتها، بل ابتدأت مؤامرات فكرية وسياسية جديدة تحت شعارات متعددة لتعمل عملها المستمر الدائب في تهديم الكيان الإسلامي والفكر الإسلامي الواعي، فالشر لا يعرف الهزيمة أمام الحق حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولهذه المؤامرات الجديدة مظاهرها المتعددة التي لا تخفى على المراقب الخبير.

إن ما كنا نقرؤه من عشرات السنين من هجوم المستشرقين اللاهوتيين على الإسلام وتشويههم لحقائقه لم يكن إلا مقدمة لنتائج ظهرت آثارها في السنين الأخيرة في أعمال بعض من هيأهم الاستعمار لحكم أقطار شتى من العالم الإسلامي، حين أخذوا يدعون إلى الخروج على تعاليم الإسلام لا باسم الكفر به والخروج منه فهم أجبن من أن يجهروا بذلك، بل باسم التجديد والتطور ومسايرة الحضارة التي زعموا أننا لا بد من أن نأخذها بخيرها وشرها، بل زعموا أنها خير لا شر فيه.

إن الاستشراق والاستعمار يسيران جنباً إلى جنب، ويعملان لهدف واحد، فليس من قبيل الصدفة أن يكون تلاميذ الاستشراق الفكريين هم الذين يدعمهم الاستعمار ويهيئ لهم الحكم في شعوب إسلامية محبة لدينها واثقة به قامت فيها حركات إسلامية واعية، إذا تغلغلت مبادئها في نفوس الجماهير قلبت أوضاع المجتمع الإسلامي الحاضر رأساً على عقب،

وهذا ما يخشاه الاستعمار والاستشراق على السواء.

ولقد عودنا الاستعمار وصحفه ومستشرقوه اللاهوتيون أن يهللوا دائماً لكل ضربة يوقعها تلاميذهم الحاكمون في حركة من هذه الحركات الإسلامية القوية، كما فعلوا من قبل في موقف بعض الحكام في البلاد العربية، وكما فعلوا بعد ذلك في موقف حاكم إيران من الوعي الإسلامي الجارف حين أعدم بعض قادته ثم قاوم غضبة العلماء لدينهم وانتصارهم لله حين انتهكت محارم دينه.

إن العالم الإسلامي لن يكفر أبداً بدينه، ولن يرى في دينه الخالص من البدع والخرافات جموداً، ولا في تراثه الصافي الخالي من الدسائس قديماً بالياً، ولا في عقيدته النيرة التي تحمل أصحابها على أن يدفعوا الشمس أمامهم حتى لا تغيب عن شبر واحد من هذه الأرض تخلفاً ورجعية وتأخراً.

إن وجهة العالم الإسلامي تتجلى في مساجده التي تغص بالمصلين، وفي متدينيه المثقفين الذين يزدادون يوماً بعد يوم، وفي هذه الخرافات والبدع التي تنحسر عنه شيئاً بعد شيء، وفي هذه اليقظة الفكرية الإسلامية التي تقذف إلى المطابع كل يوم بكتاب إسلامي جديد.

إن وجهة العالم الإسلامي هي عند جماهيره المؤمنة في المدن والقرى، والمساجد والمصانع والبيوت والمدارس، ولا تتجلى أبداً في فريق من الناس ضلوا طريقهم مهما كثروا، ولا

في حفنة من تلاميذ الاستشراق الكهنوتي مهما كانت مكانتهم في المجتمع، ولا في فئة من الحكام كل همهم ـ بحسن نية أو سوء نية ـ أن ينفذوا إرادة المستعمرين وأعداء الإسلام في إيقاف المد الإسلامي الجارف الذي لا ينتهي حتى تقول الدنيا لأمتنا.. يا فرحة اللقاء بالأمة المنقذة بعد أن طال غيابها.

إن وجه العالم الإسلامي الثائر الفائر يتجلى في أبي الأعلى المودودي لا في أيوب خان، وفي نواب صفوي لا في شاه إيران، وفي حسن البنا لا في فاروق والنقراشي وعبد الهادي وأمثالهم.

هؤلاء هم الذين يمثلون وجهة العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر، وهذه هي وجهته الصحيحة، وكل كلام غير ذلك كذب وتشويه للحقائق يزدري عصرنا هذا من يتلاعب بها، والمستشرقون الذين يخفون هذه الحقائق فيما يكتبون إنما يضحكون على أنفسهم وعلى شعوبهم وعلى حكوماتهم لو كانوا يعلمون.

❀ ❀
❀

لا تفْرَحُوا!...[1]

ربما كان عيد الفطر الفائت من أشدِّ الأعياد التي مرت بالمسلمين إثر الأحداث الدامية والمخربة التي وقعت بإخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها، فالمجازر الطائفية في الهند، والمذابح الرهيبة في زنجبار، والأحداث الدامية في قبرص، والاعتداء الوقح على زعماء مسلمي تشاد وهم يشكلون مليونين بجانب ثمانمائة ألف من غيرهم، جرّاء وقفتهم المشرفة من إسرائيل ورفضهم استقبال مندوبها، والمعارك المخربة المدمرة بين الصومال وأثيوبيا حليفة إسرائيل وعدوة العرب والمسلمين، والأعمال الوحشية الإرهابية التي تقوم بها السلطات الاستعمارية في عدن وعمان، والعدوان المريب على الجماعة الإسلامية في باكستان واعتقال أميرها وقادتها وحل منظماتها من قبل حكام مرتبطين بالغرب ارتباطاً سافراً، كل هذا وأكثر منه في أنحاء شتى من العالم الإسلامي وقع في وقت يكاد يكون واحداً، بينما العرب والمسلمون مشغولون بخلافاتهم، وأعداؤهم يعدون لهم المؤامرات، ويشحذون أسلحة المذابح، وينتقصون من حقوقهم شيئاً بعد شيء، وهم غافلون عن هذا كله تنزل بهم الضربة إثر الضربة فلا ترى مغيثاً ولا منجداً.

---

(١) السنة الرابعة، العدد الثامن: شوال (١٣٨٣) = آذار (١٩٦٤).

ربما فرح أعداء الإسلام كثيراً بهذه الأحداث الدامية التي دَبَّروا أمرها في جنح الليل، وظنُّوا أن الفرصة مواتيةٌ للانقضاض عليهم أكثر فأكثر، ولإرواء حقدهم الدفين الأسود الذي ورثوه كابراً عن كابر. بينما الإسلام لم يسيء إليهم في قليل ولا كثير، ولكنها طبيعة الشر مع الخير في كل عصر وفي كل مكان، ونزعة المشاكسة في جنود الشيطان ضد جنود الرحمٰن ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

وربما دخل اليأس إلى قلوب بعض المؤمنين الصَّالحين من هذه المؤامرات والمذابح المتَّصلة بإخوانهم، وظنوا أو خَيَّل لهم ضعفهم أنَّ الإسلام مقبل على كوارث لا نهاية لها، وأن أعداءه قد ينجحون أخيراً في القضاء عليه والانتقام من جنود.

ربما فرح أولئك ويئس هؤلاء مما وقع وسيقع، ولكنهم لو قرؤوا التاريخ من جديد لعلموا أنه قد مرَّ به ما هو أشدُّ مما يقع اليوم وأنكى، وأنه تعرَّض لمؤامرات وحملات سياسية وعسكرية لا تقاس إليها هذه المؤامرات والحملات التي تقع اليوم بشيء، وأن الإسلام مع ذلك كله خرج كالطود شامخاً لا تهزه العواصف، ولا تنال منه المعاول، وأن المسلمين خرجوا من هذه المحن أشد ما يكونون استمساكاً بدينهم، وعبودية لربهم، ومحبة لنبيهم.

إن المؤامرات على الإسلام والمسلمين بدأت منذ هاجر

رسول الله ﷺ إلى المدينة، فقام أعداء الله اليهود يناوئون الدعوة، ويؤلبون الوثنيين عليهم بكل ما طبعوا عليه من إتقان الدس والمكر والتآمر، ثم استمرت المؤامرات بعد أن اكتسحت جيوش الإسلام بلاداً باض فيها الفساد وفرخ فحملوا إليها النور والعلم والهداية، ولكن من أعمى الله بصائرهم عن الحق، وملأ قلوبهم بالتعصب الأعمى ضد كل خير، وغطوا أعينهم عن رؤية النور وهم يعيشون في الظلام، هؤلاء أخذوا يكيدون للإسلام كيداً يتفق مع قوة الإسلام وضعفهم، أن يدخلوا فيه العقائد الباطلة، وأن يبثوا في مجتمعه الأخلاق المنحلة، ثم تجلَّت المؤامرات على الإسلام بحركات عسكرية مدمِّرة كالحروب الصليبية الغربية الاستعمارية، وكغزوات التتار الهمجية الوثنية، ففعلت فعلها أول الأمر في إنزال الكوارث ببلاد الإسلام وشعوبه، ولكن روح الإسلام سرعان ما استيقظت فأبرزت إلى الميدان أبطالاً كنور الدين وصلاح الدين، وعظمة الإسلام سرعان ما بهرت أنظار الغزاة والفاتحين، فانهزم الصليبيون.. وأسلم التتار.. وبقي الإسلام والمسلمون..

وهكذا تتتابع سلسلة المؤامرات حتى اليوم يدبرها الشرق الملحد أحياناً، والغرب المستعمر أكثر الأحيان.. ولن تنتهي هذه المؤامرات ما دام الإسلام يحمل للدنيا شعلة التحرر من كل خرافة وكل وثنية، ويهيئ للدنيا كتائب المحررين من كل لون ومن كل جنس، ويبعث في نفوس أتباعه روح اليقظة والوعي مهما بهرج الدس وطال الغرم..

إنَّ هؤلاء الذين يكيدون للإسلام ودعوته النيِّرة المحررة، ويدبرون المذابح للمسلمين والعدوان على أراضيهم وأمانيهم، إنما يسيؤون إلى أنفسهم وإلى حضارة الإنسان لو كانوا ينصفون، وكيف ينصف الحاقد، أو يعدل الموتور، أو يبصر النور من ركن إلى ظلام الأقبية والدور؟.. إنهم يخسرون في كل ما يبذلون من جهود وما ينفقون من أموال، وإن أصابوا قدراً ضئيلاً من النجاح، فنتائج المعارك بأواخرها لا بأوائلها، والبذل الناجح ما أثمر فوق ما بذل، وهؤلاء لن ينجحوا ولن يفيد بذلهم في شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يا أعداء اللّه لا تفرحوا ... فلكل جريمة عقاب
ويا أنصار اللّه لا تَيْأسوا ... فلكل أجل كتاب

❁ ❁
❁

متى نسد هذه الثغرة؟[1]

من طالع تاريخ الإسلام منذ بعث الله به محمداً ﷺ حتى اليوم يرى ظاهرة واضحة كل الوضوح، وهي أن الإسلام ما برح يخوض معارك متعددة النواحي تستهدف القضاء عليه أو تشويهه أو صرف المسلمين عنه، وهذه المعارك تتّسم من جهة أعدائه بالدقة والتنظيم والكيد المحكم كما تتسم من جهة المسلمين بالبراءة والغفلة عن هذه المؤامرات والدفاع العفوي دون إعداد سابق أو هجوم مضاد، ولولا أن الإسلام دين الله الذي تكفل بحفظه لكانت بعض مؤامرات أعدائه كافية للقضاء عليه وانمحاء أثره.

ومن الواضح أن المؤامرات العدائية للإسلام تلبس في كل عصر لبوسها، فهي حين يكون المسلمون أقوياء تأخذ طريق التهديم الفكري والخلقي والاجتماعي، وحين يكونون ضعفاء تتخذ طريق الحرب والتجمع وتستهدف الإبادة والإفناء، فإذا عجزت طريق الحرب عن تحقيق أهدافها انقلبت إلى طريق فكري خداع تستهوي عقول الغافلين أو المغفلين، فينبت للإسلام في داخل أسواره نابتة تنحرف شيئاً فشيئاً عن عقيدة الإسلام السمحة المشرقة المحررة حتى تنتهي إلى عقائد وأفكار

(١) السنة الرابعة، العدد التاسع: ذو القعدة (١٣٨٣) = نيسان (١٩٦٤).

تخالف المبادئ الأساسية للإسلام، وتحقق الأهداف الرئيسية التي يسعى إليها أعداؤه من حيث يبدو أنهم لا علاقة لهم بهذا التخريب والتهديم.

إن التشكيك في السنة النبوية الصحيحة التي تذعن لها جماهير المسلمين، والتي أقامت صَرْح الفقه الإسلامي العظيم الذي لا تملك أمة من أمم الأرض عشر معشاره، هو مَثَلٌ بارز لمحاولات أعداء الإسلام في القديم والحديث، فقد أخذت هذه المؤامرة طريقها إلى عقول بعض الفرق الإسلامية في الماضي، كما أخذت طريقها إلى عقول بعض الكتَّاب الإسلاميين أمثال أحمد أمين في الحاضر، إنَّها مؤامرة لا ريب فيها، فالمستشرقون اليهود واللاهوتيون المتعصبون يلحُّون عليها إلحاحاً شديداً في كل ما يكتبون، وأقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية توجِّه أنظار طلابها المسلمين إلى هذا الموضوع توجيهاً دقيقاً، وتأبى لأيِّ طالب منهم أن يكون موضوع رسالته الجامعية دحض الافتراءات التي يملأون بها كتبهم على السنة ورواتها، وقد حدث في الصيف الماضي حين كنت في ألمانيا للاستشفاء أن اتصلت بي فتاة ألمانية مسلمة منتسبة إلى قسم الدراسات الإسلامية في جامعة فرانكفورت تطلب إليَّ دلالتها على بعض المراجع التي تساعدها في كتابة رسالتها الجامعية التي أصرَّ رئيس ذلك القسم أن يكون موضوعها «أبو هريرة»، وقد طلب إليها بحث عدة نواح في هذا الموضوع، منها: ما قيل عن أبي هريرة وما نُسب إليه من

الكذب، وما قالته فيه بعض الفرق الإسلامية غير أهل السنة، وهكذا . .

ومنذ بضع سنوات عقد مؤتمر للدراسات الإسلامية في «لاهور» بباكستان حضره علماء مسلمون من مختلف البلاد الإسلامية ومن بينهم علماء من سورية ومصر، كما حضره عدد من المستشرقين، وقد ظهر للعلماء المسلمين أن هؤلاء المستشرقين هم الذين أوصوا بفكرة عقد هذا المؤتمر، ودعوا إليه عدداً من تلاميذهم الفكريين في الهند وباكستان، وكان أشدهم تعصباً وأكثرهم جهلاً ـ باعترافه هو بعد أن ألقى بحثه ـ المستشرق الكندي «سميث» ولعله يهودي، وكان مما ألحَّ عليه المستشرقون يومئذ بحث السنة والوحي النبوي ومحاولة إخضاعهما لقواعد العلم كما يزعمون، وقد انتهى بعض تلامذتهم إلى إنكار الوحي كمصدر للإسلام واعتبار الإسلام أفكاراً إصلاحية من محمد ﷺ! . .

وفي العام الماضي قامت ضجة في الباكستان حول جماعة من المثقفين المسلمين بدؤوا يدعون إلى إلغاء اعتبار السنة مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي، وتبين بعد ذلك أن هؤلاء من تلاميذ ذلك المستشرق الكندي «سميث»! . .

ولما وضع أيوب خان دستوره الذي فرضه على الباكستان جعل من مواده تأليف لجنة من علماء المسلمين لعرض القوانين التي يصدرها البرلمان الباكستاني على هذه اللجنة لتحكم إن

كانت موافقة للإسلام أم لا - ومعلوم أن هذه المادة إنما وضعت لإرضاء الرأي العام الإسلامي في الباكستان - ولما وضع الدستور موضع التنفيذ تألفت اللجنة المذكورة آنفاً، وكان كل أعضائها من تلامذة المستشرق «سميث» وليس من بينها عالم من علماء المسلمين في الباكستان.

وحين ألف بعض الجاهلين المغرورين كتاباً عن السنة[١] ينتهي إلى التشكيك بالسنة كلها، ويفيض بالحقد البذيء على أكبر رواتها من الصحابة وهو أبو هريرة ﷺ تلقفت الجهات الأجنبية الاستعمارية هذا الكتاب فبعثت به إلى جميع الجامعات الغربية كما حدثني بذلك عدد من مختلف طلابنا المسلمين في أوروبا في الصيف الماضي.

إنَّ أيَّ واعٍ منصف يتتبع هذه الحوادث لا يشك في أنَّها حلقة مترابطة الأجزاء من سلسلة التآمر على السنة النبوية وعلى أكبر رواتها ومحدثيها، ومع ذلك يلذ لبعض أفراد الفرق الإسلامية التي لها رأيٌ خاص في أبي هريرة أن يكتبوا عنه في هذه الأيام كتباً خاصة تفيض بالروايات الموضوعة التي تجرح هذا الصحابي الجليل، كما فعل «عبد الحسين» في كتابه «أبو هريرة».

ونسوق مثلاً آخر على يقظة أعداء الإسلام وإحكام المؤامرات عليه، وهو استغلال الخلاف الذي وقع في صدر

---

(١) هو محمود أبو رية في كتابه.

الإسلام بين الصحابة رضوان الله عليهم حول الخلافة، إن مثله يقع في كلِّ أمة وفي كل عصر، ولكننا لم نر أمة من الأمم عنيت بمثل هذا الخلاف أربعة عشر قرناً!..

إن المؤامرة تبدأ من اليهودي الماكر عبد الله بن سبأ، ثم يتلقفها قادة الفرس الوثنيون الذين خلص الإسلام شعوبهم من حكمهم الظالم وعقيدتهم الوثنية، وفتح عقولها وعيونها لرؤية النور والتعرف إلى الحق، فهؤلاء حين انهزموا أمام كتائب الجيش الإسلامي المنقذ لم يجدوا وسيلة للانتقام من هؤلاء المحررين إلا أن يشوِّهوا سمعتهم وسيرتهم في بثِّ الأخبار الكاذبة عنهم مما يزري بمكانتهم حقاً لو صحت هذه الأخبار، ومما يحطُّ من شأن هذا الدين وحضارته إذ كان هؤلاء حملته وقادة جيوشه، وليس أدل على ذلك من أن نقمة أولئك الحاقدين قد انصبت على مفاخر الحضارة الإسلامية علماً وحكماً وقيادة؛ أي: على جميع القادة العسكريين الذين خلصوا العراق من حكم الفرس، وعلى رؤسائهم الإداريين الذين كانوا يوجهون هذه الحملات التحريرية، وعلى علمائهم الذين نشروا علم الإسلام وشريعته وأدوا أمانة العلم إلى من بعدهم بتجرد لا يعرف أولئك الحاقدون له مثيلاً في تاريخهم أو تاريخ غيرهم.

لقد حصل هذا كله وأثَّر أثراً بالغاً في تشتيت كلمة المسلمين ووهن قوتهم فيما بعد، وكان الظن أن يعي المخلصون المثقفون من المسلمين في هذا العصر هذه الدروس

المؤلمة، ولكن الأسف أن كثيراً من هؤلاء لم يمسكوا القلم ليرفعوا أمتنا من حضيض الجهالة والتأخر، وليدفعوها إلى ميادين العلم والقوة والحضارة، بل أعادوها جذعة من جديد، فاقتصرت كل كتاباتهم وأقاصيصهم على تصوير الخلاف القديم بأسلوب يزيد في الفرقة، ويؤجِّج نار الضغائن، ويشمت أعداء الإسلام بنا، ويحقِّق لهم أهدافهم في منعنا من الالتقاء من جديد على الحب والخير والتعاون على البرِّ والتقوى. ولو سألت هؤلاء الذين يزيدون النار اشتعالاً، فيمَ هذا الجهد الضائع؟ وفيم هذه المساعي التي تلهي أمتنا عن بناء المجد من جديد، وعن تحرير أوطانها من الاستعمار وآثاره، وتمكن للاستعمار الجديد أن يتمم رسالة الاستعمار القديم في إذلالها واستلاب خيراتها والحَيْلولة دون تجمُّعها ووحدتها؟ لو سألتهم فيم هذا كله لما كان لهم إلا جواب واحد: إننا ندافع عن حق سلب من أصحابه!.. هل في تاريخ العالم كله أن أمة شغلت بنزاع بين أجدادها مضى منذ أربعة عشر قرناً وقد انتهوا إلى ذمَّة الله، وهو وحده الذي يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون؟

هل في العالم اليوم أمة تحترم نفسها وتغار على كرامتها تشغل بخلاف عفى عليه الزمان على أخطارٍ محدقة بها من كل مكان؟

هذه بعض الأمثلة على يقظة أعدائنا وسهرهم على إحكام المؤامرات على أمتنا وشريعتنا وتاريخنا، وغفلتنا نحن عن ذلك كله، وانسياقنا مع الأهواء والعواطف التي يعرف أعداؤنا كيف

يثيرونها بيننا في كل عصر بما يلائم روح العصر ومقتضيات مصالح أولئك الأعداء..

تُرى، لم فاض تاريخ الإسلام بهذه الظاهرة المؤلمة: يقظة أعدائه ودأبهم على حبك المؤامرات لتهديمه، وغفلة أبنائه عن ذلك كله فلا يشعرون بالخطر إلا بعد أن يقعَ بهم فعلاً، وبعد أن تنهكهم الجهود في دفعه وتقليل أخطاره؟

أهو ناشئٌ من براءة الإسلام وخُبث أعدائه؟ أم هو ناشئٌ من طبيعة الخير وطبيعة الشر في كل زمان؟ أم هي طبيعة العصور الماضية التي لم تكن تتقن وسائل اكتشاف المؤامرات والجرائم والخيانات؟ قد يكون من هذه الأمور كلها، فهلا آن الأوان لأن تقوم فينا مجامع ومؤسسات لتتبع آثار المؤامرات وأهدافها ووسائل تنفيذها، كما تقوم في كل دولة من دولنا الآن دوائر لتتبع آثار المؤامرات السياسية والعسكرية على أوطانها وشعوبها؟

إن استمرارنا في هذه الغفلة جريمة لا يغفرها الله، ولا يعذرنا فيها التاريخ، ولا يحترمنا معها الأحفاد، ولو أن دولة إسلامية خصصت عشر ميزانيتها لفضح هذه المؤامرات لكان لها أعظم شرف في تاريخ الإنسانية: شرف القضاء على الشر المتربص بالخير تربصاً يؤدي إلى شقاء الإنسانية ودمارها.

وهل لنا أن ننادي جميع عقلاء المسلمين ومفكريهم وكتابهم - ممن لا يتاجرون بالخلافات المذهبية - بأن يلتقوا من

جديد على كلمة سواء: أن يدفنوا آثار الماضي كله، وأن يعملوا على ما يدفع عن أمتهم الأخطار المحدقة بهم من كل مكان، متعاونين بصدق وإخلاص، تعاون الذين لا تعرف الأهواء إلى قلوبهم سبيلاً، ولا الدسائس إلى عقولهم منفذاً، وأن يجعلوا قدوتهم محمداً ﷺ، وهدفهم تخليص المسلمين من أوزارهم وأغلالهم، وتبليغ رسالة الإسلام ونشر هدايته ونوره في العالمين، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؟ اللهم إننا بلغنا فاشهد..



لبيك اللهم لبيك[1]

ما بال هؤلاء الناس يغدون ويروحون؟ ما بالهم طائرين في الجو، مسرعين في البر والبحر، هجروا رفاهية الحياة، وفارقوا الأهل والأولاد، وتخفَّفوا من الهموم والأعباء، وتجرَّدوا المطامع والأهواء، وتناسوا الكراهية والبغضاء، واطرحوا الترف والرخاء، ولبسوا الخفيف البسيط من اللباس، وتواضعوا فلا علو ولا كبرياء، وتساووا فلا أغنياء ولا فقراء، وابتسموا فلا هموم ولا أحزان، وتهاونوا فلا بغي ولا عدوان، واتقوا فلا رفث ولا عصيان، وتعاونوا فلا تقاطع ولا هجران، وتعارفوا وهم شتى في لغاتهم لا يتكلمون إلا بلغة القرآن، أفئدتهم كأفئدة الطير، وأعمالهم كأعمال الملائكة، وأرواحهم كأرواح الأنبياء، وأخلاقهم كأخلاق الأولياء.

عيونهم باكية، وألسنتهم ذاكرة، وجوارحهم خاشعة، ونفوسهم كريمة، وجباههم ساجدة، تائبون متطهرون، راجون مؤمِّلون، داعون الله لأنفسهم وأهليهم وأصدقائهم بالخير، سائلون لأمتهم العزَّة والسيادة، ولبلادهم الكرامة والسعادة.

يطوفون حول البيت لا يذكرون إلا الله، ويقفون في

---

(١) السنة الرابعة، العدد العاشر: ذو الحجة (١٣٨٣) = أيار (١٩٦٤).

عرفات فلا يسألون إلا الله، ويجتمعون في منى يحصبون الشيطان، يبتهجون في العيد بذبح الأضاحي، وصلة القربى وإعانة البؤساء والمعوزين والضعفاء.

ما بالهم؟ فيم سافروا؟ ولم نفروا؟ وعلام اجتمعوا؟ وبم تعاهدوا؟ وأين التقوا؟ ومم شكوا؟ وماذا رجوا؟ وكيف تجمَّعوا وبلادهم بعيدة، ولهجاتهم مختلفة، وأعراقهم متباينة، وأعمارهم متفاوتة، وآمالهم متعددة، وثقافاتهم شتى؟ فيهم الشرقي والغربي، والعربي والأعجمي، والأبيض والأسود، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، والغني والفقير، والعالم والجاهل، والراعي والرعية، والصحيح والمريض، والمطيع والعاصي، والعابد والغافل، والمنقطع والواصل؟

كيف تجدَّدت حياتهم، ونَشَطَت حركاتهم، وتبدَّلت طباعهم، وتهذَّبت نفوسهم، وارتفعت أرواحهم، واتَّسعت آفاقهم، وسَمَت عزائمهم، وانخنست شياطينهم، واستيقظت ملائكيتهم؟

كيف؟ لم؟ وفيم؟ ومن أين؟ وإلى أين؟

ألا إنَّهم جنود الله دعاهم إلى ميدان المعركة الأولى، ليجدِّدوا العهد، ويجمعوا الشمل، ويَسْتشرفوا النور في مهبط النور، ويستجلوا الهدى في أرض الهدى، وينتظموا مع الركب من جديد وراء القائد الرائد، والرسول الحبيب.

جاؤوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا

اسم الله في أيام معدودات، ويشكروه على ما أنعم، ويتوبوا إليه مما أذنبوا، ويتداركوا ما فرطوا، ويغذوا السير نحو الأمل المنشود، ويجدِّدوا العهد على استرجاع المجد المفقود، وليحطموا قيود العبودية، وليرفعوا أعلام الحرية، وليهدوا بعد أن يهتدوا، وليرشدوا بعد أن يسترشدوا، وليعودوا إلى إنسانيتهم بعد أن طَغَت عليهم حيوانيتهم، وليسيروا إلى الله بعد أن ساروا زمناً مع الشيطان، ولينصروا دين الله بعد أن تقاعسوا حتى اجترأ على دينه كل فاجر، وليحموا أوطانهم من عدوان الكافرين، وتسلط الغادرين، ومؤامرات الذئاب، وسرقات اللصوص، ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والله قوي عزيز.

ألا إنهم أنصار الله دعاهم ليجدِّد حياتهم وأرواحهم وأخلاقهم، فلبيك اللهمّ لبيك!

لبيك، سنسرع إلى تلبية ندائك، وسنهرع إلى لقائك، وسنصغي السمع إلى أوامرك ونواهيك، وسنجدِّد في نفوسنا ذكريات المجد والخلود التي شاءت إرادتك أن تنطلق من حول بيتك المحرم، وسنزور رسولك وحبيبك المصطفى ﷺ، اعترافاً منا بفضله، وتجديداً للعهد معه أن لا نلقي اللواء الذي تسلَّمناه منه جيلاً بعد جيل، وتيمُّناً به ﷺ أن تنعم بالشفاء على مَنْ أبطأ به المرض عن النشاط في الجهاد في سبيلك، والدعوة إلى هديك وشريعتك، واستمداداً منه ﷺ بعض عزماته التي بلَّغ بها رسالتك، وأدى بها أمانتك، عسى

أن نسير على هديه، ونتخلق بأخلاقه، ونكون معه في جنَّات رضوانك.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾.

﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾.

لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

❀ ❀

❀

هل نحسن الاستفادة من ذكرى المولد؟[1]

حين يحتفل العالم الإسلامي في كل عام بذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ، إنّما يحتفلون بذكرى ميلاد أكرم رسول عرفته الإنسانية هادياً وقائداً ومربياً ومنقذاً جاء إلى الناس بأكرم رسالة عرفتها الإنسانية تنظيماً وأحكاماً وشمولاً وإسعاداً، ويخيل لمن يشهد هذه الاحتفالات أو يسمع بها، أن العالم الإسلامي إنما يعبر باحتفاله عن شكره لله على نعمة الرسالة الهادية والرسول القائد، ويعني ذلك أنَّ العالم الإسلامي يتبع الرسول الكريم عليه أفضل صلوات الله وسلامه في هديه وإرشاده، وأن مبادئ رسالته وأنظمتها محكَّمةٌ في كل شؤون الحياة صغيرها وكبيرها.

غير أن الواقع يشهد بغير ذلك، فلا المسلمون اليوم يمشون وراء الرسول القائد ويتبعون هديه ونصحه، ولا حكامهم اليوم يحكمون بما جاءت به رسالة الإسلام في مجتمعاتهم وحكوماتهم، إلا قليلاً منهم ينفذ قليلاً من بعض هذا الدين مما يتَّصل بالشعائر والعبادات، أكثر مما يتصل بالأنظمة والقوانين، فما معنى هذا الاحتفالات إذاً؟ ولم هذا الهجر ـ المخزي البائس ـ للرسالة والرسول؟!

---

(١) السنة الخامسة، العدد الأول: ربيع الأول (١٣٨٤) = تموز (١٩٦٤).

إنَّ الاحتفالات بالمولد لم تكن في صدر الإسلام يوم كان الإسلام عقيدة وقانوناً وسلوكاً، وإنما نشأت بعد انقضاء تلك العصور التي شهد لها رسول الله ﷺ بأنها خير العصور من بعده، ولأهلها بأنهم خير المسلمين وأسعدهم، نشأت هذه الاحتفالات يوم جَمَد الإسلام عن جهل أو غباوة أو تآمر - وَأُقْصِيَ عن حياة المسلمين ومجتمعاتهم، وجُرِّد عن كلِّ تأثير في سلوك المسلم واتجاهه وأهدافه في الحياة التي يعيشها، وإذا كنا نرى في استمرار هذه الاحتفالات اليوم بعض الفائدة، لما تتيحه من فرصة لتجديد ذكرى الرسول في نفوس المسلمين الغافلين، فإن من الواجب أن نذكر أن بعض الحاكمين في بلاد الإسلام وهم الذين أصرُّوا عمداً على الانحراف عن طريقه إلى طرق ضالة استهوتهم لجهلهم أو إلحادهم، إن أمثال هؤلاء يرأسون الاحتفالات «الرسمية» بذكرى المولد ليتظاهروا لشعوبهم بأنهم لا يزالون أوفياء للإسلام الذي تؤمن به جماهير هذه الشعوب ولا تريد عنه بديلاً.

وإن الانحراف المتعمَّد من بعض حكام المسلمين عن الإسلام وأنظمته وتعاليمه وأخلاقه.. إن هذا الانحراف المتعمَّد المقصود هو بادرةٌ خطيرة في تاريخ الإسلام لم تحدث مثلها في عصور الانحطاط والتخلف، فما علتها؟ وما الباعث عليها؟ وما الهدف الذي نتوخاه ونسعى إليه؟

نريد أن نقصي قبل كل شيء احتمال أن يكون هذا هو اتجاه العالم الإسلامي بمحض اختياره وإرادته كما يحاول بعض المستشرقين أن يصوّروا ذلك، بل هو اتجاه شخصي لهؤلاء الحاكمين، وقد تحدثنا عن ذلك فيما مضى[1]. والأدلة تتزايد عندنا يوماً بعد يوم على نفرة العالم الإسلامي من هذا الاتجاه، وسخطه له، وتألُّمه من الذين يحملون أوزارَهُ وأخطاره.

إنَّ العلة الأولى كما تبدو لنا في هذا الانحراف هو جهل هؤلاء المنحرفين بالإسلام جهلاً فاضحاً ناشئاً من دراساتهم وثقافاتهم وبيئاتهم التي عاشوا فيها، وإصغائهم إلى كل ما يقوله أعداء الإسلام عنه من المستشرقين والاستعماريين، ولو أتيح لهؤلاء أن يفهموا الإسلام في جو خالٍ من التشويش والخلط بين الحقائق والأوهام، لما قدر لهم هذا الانحراف، ولا حبب إلى نفوسهم التعلق بشيء منه.

ومن علله الكبرى وقوف الإسلام في وجه أهوائهم ومطامعهم الشخصية وسلوكهم الشخصي، والهوى إذا ران على القلب أعمى وأصم، وأصبح في نفس صاحبه إلهاً يعبد ويطاع من دون الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾؟!.

---

(١) انظر مقالة: «وجهة العالم الإسلامي».

وما دام هؤلاء الحكام المنحرفون في جهل بالإسلام واتباع للأهواء، فإن من أهم الأهداف لخروجهم على الإسلام وتنكرهم له هو - عند من يجمعون بين الجهل بالإسلام وحسن النية في تقدم أمتهم - رغبتهم في اللحاق بركب الحضارة المتقدم كما يظنون، وقد سبقهم إلى ذلك كمال أتاتورك - برغم سوء نيته - وحاول أقصى جهده أن يسلخ قومه عن الإسلام، وأن يلبسهم جلداً أوروبياً وقبعة أوروبية فوق رؤوسهم المسلمة ونفوسهم الشرقية، فماذا كانت نتيجة هذا الانحراف الخطير؟ لقد بقي الشعب التركي أمداً طويلاً تائهاً بين أعماق نفسه وبين الحياة التي تفرض عليه، فلم يصبح غربياً كما أراد الطورانيون، ولا شرقياً مسلماً كما يريد الشرقيون المسلمون، حتى تغلبت النزعة الأصلية في نفوسهم - نزعة مئات السنين التي عاشوها في ظل الإسلام - فإذا هم يؤيدون كل من يدعوهم للعودة إلى دينهم، ويدعمونه في الحياة السياسية، ولو كان متظاهراً بذلك كمندريس - وبرغم أن الاستعمار أعدم مندريس وأعوانه وحلَّ حزبه، فإنه قد بعث إلى الحياة من جديد في ثوب «حزب العدالة» الذي يتبنى عودة الشعب التركي إلى الحياة الإسلامية، وإذا بالشعب التركي المسلم يدعمه ويؤيده بحيث يسهم في الحياة السياسية التركية إسهاماً بارزاً، ويعارض في حرمان الشعب التركي المسلم من كل مكاسبه الدينية في عهد مندريس ولا يجد بقايا الطورانيين مجالاً للعودة إلى سياسة أتاتورك الدنيئة وانحرافه المشؤوم.

ألا ليت الذين ينحرفون بنا عن الإسلام اليوم من حكام العرب والعجم يرجعون إلى هذا الدرس الذي لا تزال عبره قائمة، ويفهمون أن سلخ الشعوب عن دينها أمر مستحيل، وبخاصة إذا كان هذا الدين الذي يراد إقصاؤها عنه هو الإسلام، وإن كل تجربة من هذا القبيل لا بد من أن تفشل مهما طال الزمن، وإن من الخير لشعوبهم أن يوفروا عليها هذا الزمن الذي تتيه فيه بين حقيقتها بين الأوهام التي تفرض عليها، وإن من الخير لمن كان حسن النية مخلصاً في تقدم المسلمين أن يوفر هذا الزمن ليبني مجده ومجد أمته على أساس حقيقي ثابت أصله في الأرض وفرعه في السماء.

إنَّ للإسلام من قوته الذاتية ما يستعصي على الهزيمة أو الفناء، وإن لم يبني مجده على أساس الإسلام مجداً لا يطويه الزمان، ولا يذهب بذهاب أصحابه، ولا ينتكس بانتكاس ألويتهم وذهاب سلطانهم.

إنَّ مجد صلاح الدين أخلد وأبقى وأزكى من مجد أتاتورك، فقد كان يمحى مجد هذا ولما تمضي عليه أربعون سنة، وبقي مجد ذاك وقد مضى عليه مئات السنين، وسيبقى ما بقي إنسان على ظهر الأرض يعشق الحق ويسخر من الباطل ويمجد الأبطال الحقيقيين...

❁ ❁
❁

تجزئة الإسلام[1]

يعلم كل دارس فاهم للإسلام أنه دين جاء بتفاصيل شؤون الحياة الدنيا في كل ناحية من نواحيها، وأنه يعلق النجاة في الآخرة على الإتيان بها جميعها، ويجعل مراتب الثواب في جنتها على الحرص على تنفيذ ما جاء به الشريعة في كل تعاليمها في مختلف أمور الحياة.

ويعلم كل مطلع على تاريخ الصحابة والأجيال الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بأنهم خير الأجيال من بعده، وبأن عصورهم هي خير العصور أن هؤلاء لم يكونوا يفرقون بين جزء من الإسلام فيهتمون به، وبين أجزاء أخرى فيهملونها، وذلك هو فيما نعتقد سر انتصاراتهم وسر نجاحهم وخلودهم.

ثم خلف من بعدهم خلف جزؤوا الإسلام - لعوامل مختلفة - فمنهم من اهتم بالعبادات وأهمل الأحكام في بقية شؤون الحياة، ومنهم من اهتم بالآداب الاجتماعية وأهمل الجهاد في سبيل الله والتعلم بفقه دينه، ومنهم من اهتموا بمسائل توهموا أنها تتصل بالعقيدة وهي في الحقيقة لم تكن إلا دخيلة على الإسلام من أهل الملل الأخرى، وأهملوا ما عدا

---

(١) السنة الخامسة، العدد الثاني: ربيع الآخر (١٣٨٤) = آب (١٩٦٤).

ذلك من شأن العبادة والروح والقوانين. وهكذا تفرق المسلمون في شؤون دينهم طرائق قدداً كل حزب بما لديهم فرحون، فذهبت ريحهم، ووهنت قوتهم، وانهار سلطانهم.

واليوم وقد ابتلي الإسلام بأعداء جدد يتفننون في الكيد له، ويصمّمون على القضاء عليه بأساليب ماكرة، خفية أحياناً وأحياناً سافرة، حتى أصبح شباب الإسلام معرضين للتشكك بدينهم، بل نبتت منهم نابتة مكن لهم الاستعمار من حكم شعوبهم برغم إرادتهم، بعد أن وثق من انقيادهم له، وانخداعهم بأساليب مستشرقية ومبشرية، فأخذوا على عاتقهم الانحراف بشعوبهم عن الإسلام الحق مع ادعائهم الكاذب للإسلام والتدين به، وأحاطوهم بفئات من حملة الأقلام المفتونين أحياناً، والعملاء أحياناً، والملحدين أحياناً، فزينوا لهم الشر باسم الخير، والفساد باسم الإصلاح، والإلحاد باسم التقدم، وصوَّروا لهم ولشعوبهم الاستمساك بالدين رجعية، والاعتصام بالفضيلة تأخراً، والاعتزاز بالقيم الخالدة تعصباً ذميماً.

اليوم وقد وصل بنا الحال إلى هذا نتلفت إلى المستمسكين بالإسلام لنرى مدى تنبههم للخطر واستعدادهم لدفعه، فإذا بهم كما كان أمثالهم بعد عصور الخير والازدهار في الإسلام: يجزئون الإسلام كلٌّ كما يهوى وكما يخيل له جهله بحقيقة الإسلام.

فهؤلاء يرون الإسلام في كتب يدرسونها في أحكام الشريعة قد انقطعت الصلة بين كثير منها وبين الحياة التي يحياها المسلمون اليوم، بل تكاد تكون الصلة معدومة حتى ليبدو هؤلاء الناظرون في تلك الكتب والدارسون لها، كأنهم من بقايا عصور مات أهلها وعاداتهم وطراز حياتهم وبقوا وحدهم مع كتبهم تلك، أحياء للعجب والعظة والاعتبار.

وآخرون يرون الإسلام عكوفاً في زاوية يرددون اسم الله تعالى بلا وعي ولا استحضار لجلاله، ومنهم من يتصدى للهداية والإرشاد في زعمه، فإما هو جاهل بأحكام الدين التي لا يجوز أن يجهلها مسلم، وإما هو متاجر بمن يتبعه من مريدين أو مسترشدين، يباهي بهم أهل الدنيا، ويأكل بهم أموال الدنيا، ويتقرب بهم إلى طغاة أهل الدنيا، وهو مع ذلك يزعم أنه يريد الآخرة، ويقصد وجه الله، وما قصد والله إلا الشيطان ولا سار إلا بوحيه، ثم هو مع ذلك كله لا يذكر من أحكام الإسلام إنكار المنكر والأمر بالمعروف، والدفاع عن دين الشعب ممن يريد اغتياله، وعن حقوقه ممن يدوسها، ولا يبالي في سبيل الجاه والمال أن يتحالف مع أولاد إبليس، ويطرب لأجراس النواقيس، ويحرص على حضور جنازة كلب القاضي، فإن مات القاضي فتش عن كلب قاضٍ آخر يبجِّلُه ويتقرَّبُ إلى سيِّده ومولاه.

وآخرون قصروا أعمارهم على مسائل من عقائد الدين، جرى فيها الخلاف قديماً وأدت إلى فتن ودماء، وهم يريدون

اليوم تجديد ما مضى، ويشغلون المسلمين في مسائل أمسك عنها السلف الصالح، واعتبر السؤال عنها بدعة ليست من سنن الدين، ثم هؤلاء لا يذكرون جهاداً في سبيل الله، ولا مقاومة لأعداء الإسلام، ولا دفاعاً عن حقوق المسلمين الذين تحلُّ بهم نكبات المتآمرين على الإسلام في بقاع مختلفة من العالم، بل لا يكادون يدرون بها، وربما أنكروا على من يذكرهم بها، وكل همهم تكفير هذا، وتفسق ذاك، ونسبة جمهور المسلمين إلى الابتداع إنْ لم يصموهم بالإشراك ومفارقة التوحيد.

وآخرون ادعوا العمل بالكتاب وهم بعيدون عن أهدافه ومراميه ويزعمون التمسُّك بالسنة وهم غارقون في البدع، موغلون في الخرافة، أبعد الناس عن خلق الرسول ﷺ وهديه وجهاده وتضحيته وحزنه على ضلال الضالين حتى خاطبه الله بقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾، وهؤلاء لا تؤرقهم فتنة الناس عن دينهم، ولا مؤامرات أعداء الإسلام على شريعتهم، بل لا تكاد تجد عند هؤلاء خبراً عن ذلك، وإذا أُحرج أحدهم فذكر في مجلسه شيء من مآسي المسلمين لم يزد على أن يقول بلسانه دون أن يحزن قلبهُ: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وآخرون ما يزالون منذ أربعة عشر قرناً يشغلون أنفسهم والناس بالحديث عن فتن جرحت كبد الإسلام وفرقت كلمته، وليس لهم هم إلا أن يلعنوا فلاناً وفلاناً وفلاناً ممن هم غرة في جبين الدهر بآثارهم، وقرة عين الإسلام في خدماتهم، ولا يبالي هؤلاء المتباكون اللاعنون أن يزعموا أنهم أشد حباً

لرسول الله وآله وأنصاره من المسلمين أجمعين.

هذه أمثلة لتجزئة الإسلام في عصرنا الحاضر، والفئات التي تتمسك بالإسلام وتغار عليه، ولا أستثني من ذلك إلا فئة من شباب هذه الأمة زرعها الله بيده، وغرسها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي، ثم رباها على عينه، فهي تزداد قوة برغم ما ينزل بها من محن، وعدداً برغم ما يراد لها من إفناء، قد فهمت الإسلام كلاًّ لا يتجزأ فعملت به كله من غير إهمال لناحية من نواحيه، إنهم في النهار عاملون، وفي الليل عابدون، ولأعداء الإسلام متربصون، بأحكام شريعته متفقهون، .وعلى هدي رسولهم سائرون ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

عاهدوا الله فَصَدقوه العهد، واشتروا من الله جنة عرضها السماوات والأرض بجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وحرياتهم وكراماتهم.

رضوا من الدنيا بكفافها، ورضوا عن الله في قضائه، ورضي عنهم صدق بلائهم، فمضى منهم من مضى وبقي من بقي ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أولئك جند الله ولو كره الجاحدون، وأمناؤه على شريعته ولو كره الجامدون.

يا شباب الإسلام في كلِّ مكان. إنَّ أعظم وهن دخل على قلعة الإسلام الحصينة تجزئته وتجزئة الدفاع عنه، فارفضوا

كلَّ تجزئة له مهما بدت الدعوة إلى ذلك برّاقة مغرية، واجْتنبوا الَّذين يُجزئونه مهما تظاهروا بالغيرة عليه. وكونوا كما كان صحابة رسولكم ﷺ والأجيال الراضية المرضية من بعدهم: فرساناً بالنهار، ورهباناً في الليل، أئمةً في العلم، وقدوةً في الخير، مقلين من الجدل، مكثرين من العمل، واعلموا أنّ الله قد ارتضى لنا هذا الدين كاملاً فلا يقبله منا أشتاتاً ومزعاً، وأن من أعظم البلاء والفتنة أن يرضى هؤلاء المجزِّئون لدين الله عما هم عليه، ويحسبون أنهم وحدهم الناجون.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾.

❀ ❀
❀

الطّريق الصّحيح لحلّ مشكلاتنا[1]

انعقد مؤتمر القمة العربي الثاني، وتابع العرب أبحاثه ومقرراته باهتمام بالغ، ومن الطبيعي أن يكون لمؤتمري القمة الأول والثاني هذا الاهتمام البالغ من الشعوب العربية وغيرهم، فالذين اجتمعوا في المؤتمرين لبحث أهم مشاكل العرب في العصر الحاضر وفي مقدمتها قضية فلسطين، يملكون من الوسائل المادية والمعنوية ما يستطيعون به أن يسيروا بأمتهم خطوات بعيدة المدى نحو الكرامة والسيادة والتقدم، ولقد واجهت أمتنا من قبل ما يشبه المشكلات التي نحياها، ولم يفدها في مواجهة الصعاب ورد غارات الأعداء إلا تلاقي قادتها واتفاقهم على درء الخطر متعاونين صادقين مخلصين، وسلوكهم الطريق الصحيح لحل تلك المشكلات ودفع الكوارث.

واليوم إذ يعيد التاريخ نفسه، فيما يشبه تلك المشكلات والأخطار، وفي شعور المسؤولين عن مصير أمتنا بوجوب تلاقيهم وتعاونهم، نحاول أن نجد التشابه أيضاً في الوسائل التي يسلكها اليوم قادة مؤتمري القمة لدرء الأخطار، والوسائل التي سلكها قادة الأمس فأدت بهم إلى الظفر والنصر.

(١) السنة الخامسة، العدد الثالث: جمادى الأولى (١٣٨٤) = أيلول (١٩٦٤). وهي آخر مقالة افتتاحية كتبها رَحِمَهُ اللهُ قبل وفاته في ت١ ١٩٦٤.

ومما لا ريب فيه أن هناك تشابهاً في كثير من النقاط لا تحتاج إلى التنويه بها والحديث عنها، غير أنه هنالك كثيراً من نقاط الافتراق والتباين ليست ناشئة من تباين الزمن واختلاف الحضارتين: حضارتنا بالأمس وحضارة الغرب اليوم، بل من طبيعة التفكير والمنظار الذي ينظر به إلى وجه المشكلات وحقائقها.

لقد كان القادة الذين درؤوا أخطار الأمس البعيد يؤمنون بالإسلام ديناً يحل المشكلات، وبالمسلمين أمة واحدة تجمعهم المصائب، وبالإيمان بالله واللجوء إليه والاعتصام بالأخلاق المحاربة أقوى وسيلة من وسائل النصر، فهل هو الحال كذلك بالنسبة إلى قادة اليوم؟ ليس الجواب على ذلك صعباً على المراقب البصير.

ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ على مقررات مؤتمري القمة أمرين جديرين بالعناية والاهتمام:

أولهما: أن مشكلة كمشكلة فلسطين هي مشكلة العرب الأولى لم يلتفت فيها إلى العناية بالأصدقاء الحقيقيين للعرب في كل مشكلاتهم، ونعني بهم شعوب العالم الإسلامي الذين إن جادل بعض الناس في اعتبار هذه الشعوب أنها هي مشكلتهم أيضاً، فإن أحداً لا يجادل في أنها وقفت بجانب العرب ضد أعدائهم وقفة كان لها أثرها الكبير في تضييق دائرة المشكلة وتخفيف المصاب بها.

وإذا كنا مضطرين للتفريق دائماً بين شعوب هذه المنطقة

وبين أكثر حكوماتها، إن الواقع أن أكثر هذه الحكومات أعلنت موقفها معنا بصراحة في مشكلة فلسطين، فهي لا تعترف حتى الآن بإسرائيل، ولا تزال تعلن أنها لن تعترف بها، ونحن نؤكد أن هذا الموقف ليس مجاملة من تلك الحكومات للحكومات العربية، بل تمشياً منها مع رغبات شعوبها، وخوفاً من غضبها إن هي سلكت غير ذلك الاتجاه.

والذي نؤكده أيضاً أن بعض الحكومات الإسلامية التي اعترفت بإسرائيل - وهي لا تعدو اثنتين - قد أغضبت شعوبها في هذا الموقف وهي لا تتمتع حقيقة بثقة شعوبها ولا بحبها واحترامها.

وبذلك يكون للعرب رصيد كبير قد أهملوه ويكادون يخسرونه في معركتهم مع إسرائيل. إن كل مسلم على وجه الأرض يكره إسرائيل ويراها دولة معتدية باغية أقامها الاستعمار في قلب الوطن العربي الكبير كركيزة لمطامعه وأهدافه الاستعمارية، وإذا كان عدد المسلمين في الوقت الحاضر لا يقلون - على أقل تقدير - عن خمسمائة مليون، فكيف يجوز أن تهمل هذه القوى الهائلة التي تحرص أكبر دولة في الأرض وأقواها على اكتساب رضاها وانحيازها إلى جانبها في صراعها الدولي القائم اليوم؟ وما الباعث على هذا الإهمال؟ ولمصلحة من يكون؟ إنه قطعاً ليس لمصلحة العرب، فكيف يتصور العقل أن يكون هذا الإهمال متفقاً مع مصلحة عدوتهم غفلة منا أو صدقة أو قصر نظر؟.

إن هذا العصر عصر الشعوب، وليست الحكومات إلا ممثلة لإرادتها وناطقة باسمها، ولذلك تخصص كل الحكومات القوية أو الضعيفة جزءاً من ميزانيتها للداعية بين الشعوب لما فيه مصالحها المادية أو المعنوية، فلا يجوز أن نقصي الشعوب الإسلامية عن الإسهام في معركة فلسطين وهي معبأة روحياً ومعنوياً لخوض المعركة بجانبنا.

ثانيهما: أن السلاح المادي وحده لا يكفي لإحراز النصر في مثل معركتنا، بل لا بد أن يصحبه سلاح معنوي يجعل السلاح المادي في يد صاحبه أقوى أثراً وأشد نكاية في الأعداء، وحقائق التاريخ في القديم والحديث تثبت هذا، ومما لا ينازع فيه اثنان أن الإيمان وقوة العقيدة ومتانة الأخلاق هي أقوى هذه الأسلحة المعنوية خطراً، فلماذا نهمل العناية بالسلاح المعنوي، بل يسعى بعضنا إلى حرمان أمتنا منه، وتسعى الدوائر الاستعمارية والصهيونية إلى ضياعه من أيدينا بكل الوسائل التي تملكها، وما أكثرها وما أشد تأثيرها وسريانها عند بعض النفوس الضعيفة التي هي شر ما ابتليت به أمتنا في عصرنا الحديث.

يا شباب الإسلام! افتحوا أعينكم على الحقائق التي بَصَّركم بها ربُّكم في كتابه، ورسولكم في سنته، وسار على هديها أسلافكم فكانوا قادة الدنيا وسادة العالمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

أثر الهجرة في التاريخ[1]

هذه الافتتاحية هي مما كتبه فقيد الإسلام الدكتور السباعي عليه رحمة الله ورضوانه في أول العام الهجري الماضي أثناء إقامته في المدينة المنورة بعد أداء فريضة الحج، وقد أذيعت في حينها من إذاعة مكة المكرمة ولم تنشر بعد ذلك، ونحن إذ نقدمها لقرائنا بمناسبة العام الهجري الجديد نتمنى لهم ولجميع المسلمين عاماً تتحقق فيه أطيب الأماني.

✍ المجلة

نحن على أبواب عام جديد بعد أن ودعنا عاماً من أعوامنا فيه الفرح والترح، وفيه الخير والشر، وفيه ما تحقق من أمنياتنا وما لم يتحقق، ونحن نذكر الآن الذي نودعه وكأنه الأمس لا نحسبه إلا ساعات، وكذلك الإنسان في غفلته تمرُّ به الأيام والليالي وهو يلهث وراء أحلامه التي لا يتحقق أكثرها، وإن تحقق منها شيء فهو أمر فانٍ لا بقاء له ولا دوام إلا العمل الصالح الذي يقدمه صاحبه بين يديه ليكون له نوراً يوم العرض على ربه، ونسأل الله أن نكون من هؤلاء الذين قدموا من صالح العمل ما يبقى أثره، ويعظم نفعه، ويكثر أجره، وينير له

(١) السنة الخامسة، العدد العاشر: ذو الحجة (١٣٨٤) = نيسان (١٩٦٥).

ما بين يديه وما أمامه حتى يقدم على الله بعمل يدخله جنته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

إنَّ أحداث التاريخ الكبرى يصنعها رجل أو رجال ولكن الذين يعيشون بفضلها ملايين من البشر لا يشعرون بفضل صانعيها، وكذلك شأن عظماء التاريخ من أنبياء الله وأصحابهم وذوي الجهاد المستمر في الهداية والإصلاح.

إن عامنا الجديد يذكرنا بحادث الهجرة التي أرخ بها تاريخ الإسلام، والهجرة نتيجة جهود مضنية قام بها رسول الله ﷺ لتحويل العرب عن وثنيتهم وأصنامهم وجاهليتهم إلى حياة الإسلام الخيِّرة المباركة التي أحيتهم من جديد وأدخلتهم ميدان الخلود دخولاً لا خروج بعده.

لقد هاجر سيدنا رسول الله ﷺ ومعه الصديق الأكبر رضوان الله عليه بعد أن أجمعت قريش على قتله تخلصاً من دعوته، وبعد أن أصبح للإسلام دار وأنصار يأوي إليهما المسلمون، فخرج رسول الله سراً من بيته، وقد خلف في فراشه ابن عمه علياً البطل الفتى المؤمن، وسار وصاحبه أبو بكر حتى دخلا غار ثور وأقاما فيه أياماً مستخفيين عن أعين قريش التي صعقت لإفلات رسول الله من يدها، وبثت الأعين والرقباء في كل مكان يتبعون أثره، ولكن الله الذي أراد بالإسلام أن يهدي الناس ويخرجها من ضلالتها حفظ رسوله وصاحبه من كيد أعدائهما ووصلا سالمين إلى المدينة. واستقر

رسول الله فيها وبدأ يبني فيها أسس دولة الإسلام التي تمكنه من القضاء على الوثنية قضاء مبرماً في جزيرة العرب والتي تمكن خلفاءه من بعده أن يحققوا مبادئ رسالته في العالم، ويكشفوا العماية عن أبصار الناس وضمائرهم.

إذاً فليست الهجرة حدثاً عادياً كان الباعث عليها الحرص على الحياة، ولا الرغبة في المال والحياة، لم تكن الهجرة فراراً من جهاد ولا تخلفاً عن رسالة، ولا تقاعساً عن واجب، بل كانت استئنافاً لجهاد جديد بعد أن تمت عدته وأنصاره وإمكانيات النصر له، وكانت الهجرة تضحية من نوع جديد، بعد أن استنفد رسول الله كل وسائل التضحيات قبلها، وكانت الهجرة بدء مرحلة جديدة، وانعطاف جديد خطير في تاريخ الإنسانية، فلولا الهجرة ـ ولو تمكن الوثنيون من وأد الدعوة في مهدها والقضاء على رسولها ـ لظلت جزيرة العرب حتى اليوم وثنية تعبد اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. ولظل العرب على هامش الحياة لا تحفل بهم أمة، ولا يذكرهم تاريخ، ولظلوا أشتاتاً متفرقين منهم من يخضعون للفرس يقاتلون في سبيل أمجاد كسرى وأطماعه. ومنهم من يخضعون للروم يقاتلون إخوانهم أولئك في سبيل أمجاد قيصر وأطماعه.

لولا الهجرة بعد ذلك لما قامت دولة الخلفاء الراشدين، ثم لما كانت بعدهم حضارة الأمويين والعباسيين.

ولولا الهجرة لما كانت حضارة الإسلام الرائعة في

الأندلس، التي انبعثت منها أوروبا من غفلتها في القرون الوسطى وقد كانت يومئذ من أحط الشعوب.

ولولا الهجرة لما كانت لنا بغداد ودمشق - وإن كانت موجودة من قبل - والقاهرة وقرطبة والزهراء، وبخارى وسمرقند والآستانة والقيروان.

ولولا الهجرة لما كانت لنا القادسية واليرموك وبدر وأُحد وحطين.

ولولا الهجرة لما كان لنا أبطال في الحكم كأبي بكر وأبطال في السياسة كعمر، وأبطال في الحروب كخالد وعمرو وصلاح الدين.

تلك هي الهجرة - أيها الناس - وذلك هو أنذر اليسير من فضائلها وآثارها، فلنذكرها جيداً في بدر عامنا الجديد.

اذكروها يا شباب، واذكروها يا فتيات، واذكروها يا شيوخ، واذكروها يا آباء، واذكروها يا أمهات فكل هؤلاء من أمثالكم أسهموا في وقائعها وأمجادها.

اذكروها لتذكروا الفداء والتضحية والتعب في سبيل الحق والخير حتى نرجع كما كنا خير أمة أخرجت للناس.

اذكروها لتعرفوا فضل رسول الله ﷺ علينا وفضل صحابته الذين جاهدوا معه في الله حق جهاده، حتى أصبحنا بفضلهم الذي هداهم الله إليه نعبد الله وحده لا شريك له، ونحمل خير

رسالة أنزلت للناس، وإن لها علينا اليوم حقاً كما كان لها على سلفنا الصالح من حق فهل نقوم بهذا الحق كما قاموا، وهل نعمل لخير أمتنا والعالم كما عملوا لنلحق بهم في الخالدين ونكون عند الله من السعداء الموفقين، اللهمّ لا مضل لمن هديت ولا هادي لمن أضللت، أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، والحمد لله رب العالمين.



في ذكرى الإسراء والمعراج[1]

حادث الإسراء والمعراج من الحوادث المعجزة يذكره المسلمون كل عام في مثل هذا اليوم، ويرون فيه دليلاً قوياً على عناية الله برسوله وعلو مكانته بين الأنبياء والمرسلين، ونحن مع هذا نرى للحادث العظيم، مغزى وطنياً ومغزى اجتماعياً ومغزى سياسياً يجب أن لا يغرب عن الأذهان في هذه الظروف:

فمغزاه الوطني: أن هذه الأمة التي أسرى الله بقائدها من مكة ـ وهو ما يزال فيها مضطهداً معذباً ـ إلى المسجد الأقصى يجب أن تحطم كل قيد، وأن تزيل من طريقها كل عقبة، وأن لا ترضى بالحياة إلا أن تكون كريمة منطلقة فسيحة الجنبات.

ومغزاه الاجتماعي: أن هذه السياحة الروحية العظيمة التي أشرف فيها قائد الأمة على الكون فرأى من آيات الله وأسراره وعجائب خلقه ما رأى يجب أن تبعث الأمة إلى التحليق في أجواء الفكر والعلم والسمو والكمال، فما ينبغي لأمة أطلَّ قائدها على الدنيا وما فيها إلا أن تكون متمكنة من شؤون نفسها، مستعلية عن صغائر الإنسانية وسفاسفها، سبَّاقة

(١) السنة الخامسة عشرة، العدد الخامس (١٣٩٤).

في البحث عن أسرار الحياة وما بثَّ الله فيها من حقائق لا ينتهي عجب الإنسان من صنعها وامتدادها.

ومغزاه السياسي: إن لهذا الجزء الذي أسرى الله برسوله إليه، وهو فلسطين أهمية كبرى في حياة هذه الأمة، وإن الصلة بين مكة وبيت المقدس صلة وثيقة العرى لا تنفصم أبداً، وإن لبيت المقدس من الخطر في مستقبل الزمن ما لا ينبغي أن تجهله الأمة أو تغفل لحظة واحدة عنه، فإذا اتجه الرسول عليه صلاة الله وسلامه إلى بلد خارج الجزيرة كانت فلسطين أول من يتجه ويرحل إليها. فكيف يصح أن تنام الأمة عن فلسطين إذا كانت تحت قبضتها وحكمها لا ينازع سلطانها فيه سلطة؟

هذا مجمل ما يتسع له القول الآن من مغزى الإسراء والمعراج واقرأ معي قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١].

واليوم تضطرب من حول فلسطين الأمواج، ويتأرجح مستقبلها بين كفتي القدر، وتتلاعب السياسة الغاشمة في مقدراتها! فماذا أعددنا لإنقاذها من مخالب الثعالب؟ وماذا قدمنا في سبيلها من أعمال تدرأ الخطر عنها أو تبعده؟؟..

نحن لا ننكر أن العرب استيقظوا للخطر وتنادوا إلى عقد مؤتمر تلو المؤتمر، ملؤوا الدنيا بصرخات الغضب والاحتجاج، ولكن هذا على ما فيه من فائدة ليس هو العلاج

الحاسم لخطر يستفحل يوماً عن يوم، ولا السلاح الواقي من عدو يشتد ساعة بعد ساعة. . !

وإن أمامنا طرقاً عملية كثيرة من أهمها في رأيي تحويل الشعور العاطفي نحو فلسطين إلى شعور عملي واقعي بحيث يشعر كل فرد من أبناء العرب والمسلمين أن عليه واجباً نحو فلسطين لا يقوم به الكلام وإنما يؤديه الحسام، ولا تجزئ فيه صرخات الألم والاستنكار، وإنما يجزئ فيه دفع الدرهم والدينار، ويوم يصبح شعورنا نحو فلسطين قوياً لا نمسك أنفسنا معه من مد الأيدي إلى الجيوب بغير اختيار، ومن امتشاق الحسام بدون تردد، ومن الإسراع إلى الأراضي المقدسة بدون إبطاء، يوم نصل إلى هذا فقل: سلام على الصهيونية، ووداع لها إلى غير لقاء.

نحن لا نحتاج في تقوية هذا الشعور العملي في نفوسنا إلى أكثر من الاستفادة من ذكرياتنا الدينية في فلسطين.

ففي ذكرى الإسراء والمعراج، وفي ذكرى فتح صلاح الدين لبيت المقدس، وفي ذكرى موقعة حطين، وفي ذكرى معركة عين جالوت. . في هذه الذكريات كلها ميادين واسعة لإذكاء النار الدينية في نفوس المسلمين. . .

أيها العرب! أيها المسلمون! اذكروا في هذا اليوم أن الإسراء والمعراج رمز سمو، وعنوان تحرر، ودليل كرامة، وأن رسولكم ﷺ الذي تحتلفون بذكرى إسرائه في هذا اليوم لن يقرَّ

له قرار في دنيا الخلود إلا أن تحرروا فلسطين وتنقذوا بلادكم من جحافل الصهيونية الغازية التي جعلت من فلسطين ميدان المعركة الأولى لتنتقل بعد النجاح إلى بغداد والقاهرة بل إلى مكة والمدينة.

ـ أيها العرب والمسلمون!. فلسطين التي غرقت بالدماء، والتي تقف اليوم على فوهة البركان، تستصرخ فيكم دماء البطولات وتهيب بكم أن تنطلقوا إليها سراعاً وبأيديكم السلاح، وفي جيوبكم المال وفي قلوبكم الإيمان، وفي عيونكم الشرر، وفي عزائكم تحدي الموت، وعلى فمكم نشيد الثأر:

لا افتخار إلا لمن لا يضام	مدرك أو محارب لا ينام
واحتمال الأذى ورؤية جا	نبه غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش	رب عيش أخف منه الحمام
أقراراً ألذ فوق شرار	ومراماً أبغي وظلمي يرام
دون أن تشرق الحجاز ونجد	والعراقان بالقنا والشآم

❁ ❁
❁

نبوّة.. وقيادة[1]

حياة رسول الله ﷺ وسيرته هي المثل الأعلى الذي يحتذيه كل مسلم، وهي على تقادم العهد بها، جديدة في كل عصر، توحي لكل فئة من فئات الأمة بما يبعثها نحو الخير، ويدفع بها إلى ميادين الخلود، وإذا كانت ذكرى المولد النبوي الكريم حبيبة إلى قلب كل مسلم، فإن هذه الذكرى أحب ما تكون إلى قلب الداعية المسلم، إذ يجدد فيها صلته بقائده الأعظم، ويراجع فيها حسابه معه ويزيد فيها من إمعانه النظر بخطط الدعوة في مراحلها الأولى حين كان رسول الله ﷺ يضع أصولها، ويوجه دفتها بما يتنزل عليه من وحي، وما يلهمه من توفيق، وما تهتدي إليه عبقريته من وجوه الحق ومسالك النصر.

وسنقصر حديثنا اليوم على ناحية واحدة من النواحي التي تهم الدعاة إلى الله قادة وجنوداً، وهي ناحية جديرة منا بالعناية والدرس إذ يتوقف على فهمنا لها نجاح الدعوة في المواقف الحرجة إلى حد كبير.

كان رسول الله ﷺ يحرص على أن لا يواجه الأعداء جميعاً في وقت واحد، فإذا تجمعوا لقتاله حرص على التفريق

---

(١) السنة السادسة، العدد الأول: (١٣٨٥) = (١٩٦٥).

فيما بينهم بكل الوسائل، حتى إذا أمكنته الفرصة بطش بأقواهم ثم بمن بعدهم حتى يتم له النصر. ولم يكن عليه الصلاة والسلام حين يريد الأمر فيحال بينه وبين ما يريد، تأخذه حمية المقاتل الذي يصر على أن ينتصر، بل كان يقدر الظروف المحيطة به، ويقارن بين ما يريد وبين ما يعرض له من فرصة، فإن وجدها أجدى عليه مما يريد، عمل بها وأخر ما يريد إلى وقت آخر.

وبذلك نجت الدعوة في حياته من كثير من المتاعب، وحال دون تألب الأعداء عليه جميعاً إلا حين لم يستطع لذلك دفعاً كما في غزوة الأحزاب، حيث أنزل الضربات المتتالية بأعداء الدعوة فريقاً إثر فريق، وتنازل في مواقف الشدة عن بعض مظاهر القوة ليدفع شراً أو ليكسب من وراء ذلك نصراً، وإليكم الأمثلة على ذلك:

في المدينة مع اليهود:

لما استقر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة بعد هجرته كان لا بد له من أن يستعد لنزال قريش وخوض الحرب معها، فما كانت قريش بالتي ترضى أن تكون للرسول في المدينة العزة والمنعة، وهي التي حرصت ثلاثة عشر عاماً على مناصبة دعوته العداء، فكيف وقد أفلت من يدها وأصبح في المدينة سيدها وقائدها ورئيسها المحبوب؟ لقد كان الصراع مع قريش بعد الهجرة ـ صراعاً حربياً ـ أمراً متوقعاً في نظر

الرسول ﷺ، وكان في المدينة ـ مع الأوس والخزرج ـ عدد كبير من اليهود يسكنون في أرباضها أو على مواقع تحيط بها، ولم يكن يتوقع الرسول من اليهود سلماً لدعوته ورضا بانتشارها، وهم الذين كانوا يستولون على مقدرات سكانها من الأوس والخزرج، ويثيرون العدوان بينهم لتظل لهم السيطرة السياسية والمالية عليهم، فكيف يرتاحون إلى وحدة كلمة هؤلاء المؤمنين من جيرانهم وانتهاء الحروب والفتن الداخلية فيما بينهم؟ هذا مع ما فاض به تاريخ اليهود من محاربة لرسل الله وقتل لأنبيائه وإثارة للفتن والعداء في كل مجتمع يعيشون فيه، وبذلك واجه الرسول في المدينة جبهة أخرى معادية لدعوته بعد أن كان العداء بينه وبين خصوم الدعوة في مكة محصوراً في قريش ومن يناصرها.. هنا تتجلى حكمة الرسول البعيدة المدى، إذ بادر إلى عقد ميثاق بينه وبين يهود المدينة ليأمن شرهم ويمنعهم من مؤازرة قريش في معاركها المقبلة، ووضع الميثاق، وأصبح اليهود مواطنين في المدينة يربطهم الميثاق الجديد بالدفاع عن المدينة ممن يقصد غزوها، وبأن يكونوا مع المؤمنين فيها يداً واحدة على النوائب، ومن هنا استطاع الرسول أن يتفرغ لرد عدوان قريش، وأن يخوض معها بدراً وأُحداً وغيرهما من المعارك آمناً في جبهته الداخلية، مكفياً شر اليهود وهم أقدر على إيذائه من قريش؛ إذ كانوا في المدينة وما حولها.

مع يهود بني قينقاع:

ولكن طبيعة اليهود تأبى إلا الغدر والخيانة، فما كاد رسول الله ﷺ ينتصر على قريش في بدر حتى ثارت في يهود بني قينقاع عوامل الحقد والبغضاء، فأظهروا للمسلمين شراً وغدروا ببعض نساء الأنصار فهتكوا حرمتها، ولم ير رسول الله وهو الذي يعلم أن اليهود سيكون منهم ما كان من يهود بني قينقاع، أن يجاهرهم جميعاً بالعداء، بل حارب بني قينقاع وحدهم وتمَّ له إجلاؤهم عن ديارهم، وظلَّ على عهده مع بقية اليهود إذ لم يبد منهم في الظاهر ما يدل على نقض الميثاق، ولأن معركته مع قريش لم تنته بانتصاره عليها في بدر.

مع يهود بني النضير:

وتحرك بعد ذلك بنو النضير، وهم يجاورون المدينة، وقد كانوا حلفاء الخزرج قبل الإسلام، وناصبوا الرسول العداء وبيتوا على قتله ومن معه، فأنذرهم الرسول بوجوب الجلاء عن مساكنهم بعد أن بدا منهم الغدر، فلما أبوا تحصنوا في حصونهم، نازلهم المسلمون وتغلبوا عليهم، فاضطروا للجلاء عن ديارهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا آلة الحرب.

مع يهود بني قريظة:

وظل الرسول بعد ذلك محافظاً على ميثاقه مع بقية اليهود الذين لم ينقضوا الميثاق، مع أن الدلائل كلها تدل على أنهم

جميعاً محنقون من انتشار الدعوة، مبيتون للغدر بالرسول ومن معه، ذلك أن رسول الله سار على هذه الخطة الحكيمة، وهي أن لا يحارب في جبهتين، وأن يتقي أقوى الجبهتين خطراً بأقلها وأقربها إلى الخضوع والاستسلام.. ومعركة قريش لا تزال هي المعركة الرئيسية في جزيرة العرب، فليوجه إليها كل همه، وليهدئ من عداء اليهود بقدر ما يستطيع، حتى تنتهي المعركة الكبرى مع قريش بالنصر، ولكن اليهود قوم لا يرتاحون إلى السلم والعيش الكريم، فما كاد عظماء بني النضير يجلون عن ديارهم - عقوبة لهم على غدرهم - حتى أخذوا يثيرون قريشاً وقبائل العرب ضد الرسول وصحبه، وكان من أثر ذلك غزوة الأحزاب التي تجمعت فيها قريش وغطفان ومرة وأشجع وبنو سليم وبنو أسد، وهاجموا المدينة في عشرة آلاف محارب، وكانت غزوة الأحزاب، وتحركت بنو قريظة وهم يهود المدينة نفسها فنقضوا الميثاق وأبدوا العداء للرسول، وظنوا أن هذه المعركة قاضية على المسلمين في المدينة فأعلنوا الحرب وانحازوا إلى الأحزاب، وهنا تشتد المعركة على المسلمين، ويصبح أهل المدينة في قلق شديد على ذراريهم ونسائهم خوفاً من بني قريظة الذين أعلنوا عداءهم، ويفكر الرسول ﷺ في تفريق كلمة الأحزاب بأن يعمل على انسحاب غطفان من المعركة لقاء أن يعطيها ثلث ثمار المدينة.

ويتألم المسلمون من ذلك، ويتدارك الله رسوله وصحبه بالعناية الإلهية فيسلم «نعيم بن مسعود» من غطفان وهو صديق

قريش واليهود، فيعمل على التفرقة بينهم، ويغرس في نفوس كل من قريش واليهود عوامل الريبة والحذر بعضهم من بعض فتختلف كلمة الأحزاب، ويرسل الله ريحاً باردة في ليلة شديدة الظلام فتولي قريش وحلفاؤها لا تلوي على شيء، وينبلج الصباح عن فرار قبائل العرب في الظلام، ويظل الرسول وجهاً لوجه مع يهود بني قريظة الغادرين في أحرج الساعات، ويتم القضاء عليهم بما حكم به حليفهم سعد بن معاذ من قتل الرجال وسبي النساء والأطفال.

مع اليهود الآخرين:

وانتظر الرسول ﷺ حتى تمّ صلح الحديبية وأمن شر قريش، فاتجه إلى تصفية اليهود الباقين حول المدينة فأنهى علائقه مع يهود فدك بحقن دمائهم ومغادرة ديارهم وترك أموالهم، ثم انتهى من يهود وادي القرى ويهود خيبر فتغلب عليهم وفرض عليهم الجزية وجردهم من قوتهم الحربية. وبذلك انتهى من معركة اليهود دون أن يخوض معهم جميعاً معركة واحدة، ودون أن يحاربهم وقريشاً في وقت واحد.

وهذه إحدى العبر في تاريخ الرسول السياسي والعسكري تدلنا على براعته وتوفيقه في الوصول إلى النصر، دون أن يثير قوى الأعداء عليه جميعاً، ما دام يستطيع أن يفرق بينهم ـ كما في غزوة الخندق ـ أو أن يضربهم الواحد بعد الآخر كما حصل في تصفية قضية اليهود في جزيرة العرب.

في صلح الحديبية:

وأمامنا مثل آخر يدل على مرونة الرسول وبراعته وتفضيله المصلحة البعيدة المدى على المصلحة المؤقتة التي يمكن أن تكسب بالعاطفة ولكنها تفوت كثيراً من المكاسب السياسية. ففي صلح الحديبية كان الرسول ﷺ لا يريد القتال بل يرد الطواف في الكعبة، فلما أصرت قريش على المنع صمم الرسول على قتالهم، ووجد من المسلمين كل استعداد للفداء وبايعه المسلمون بيعة الموت المشهورة ببيعة الرضوان، حتى إذا أبدت قريش رغبتها في الصلح والمهادنة عشر سنوات، بادر رسول الله إلى قبول ذلك، وتم الصلح على الشروط المعروفة، وهي شروط لم يرضها المسلمون أول الأمر بل رأوا فيها ضعفاً وذلة، ولكن القائد الرسول الذي يمتد بصره إلى ما لا يمتد إليه بصر جنوده المؤمنين، أصرَّ على قبول الشروط فلم يجد المسلمون بداً من القبول، وتبيَّن فيما بعد أن هذه الشروط كانت سبباً من أسباب تعجيل النهاية المرتقبة للوثنية في جزيرة العرب، وأن صلح الحديبية كان الخطوة الأولى لفتح مكة واستسلام الوثنية العربية استسلاماً لا قيام لها من بعده أبداً.

هنا يجب أن يذكر الدعاة أن على القائد أن يجنِّب الدعوة المتاعب الكثيرة بأقل التضحيات، وأن يخضع للظروف مع حسن الاستعداد والاستفادة، كما فعل رسول الله ﷺ حين رأى إصرار قريش على أن لا يدخل الرسول ذلك العام مكة أبداً، فرجع عنها هو وصحبه بعد أن أوشكوا على وصولها، وكان

قادراً على أن يدخلها عنوة واقتداراً ولكن المعركة يومئذ كانت ستكلف المسلمين كثيراً من التضحيات، وما كسبه الإسلام من صلح الحديبية كان أعظم سياسياً ودينياً وعسكرياً مما كان يكسبه لو دخل المسلمون آنئذ مكة عنوة، وما هو إلا انتظار سنتين بعد ذلك حتى دخل الرسول مكة فاتحاً، وقد استسلمت قريش ثم دخلت بعد ذلك في دين الله أفواجاً.

إن على القائد أن لا يضيق ذرعاً بحماس جنوده كما تحمل الرسول شدة عمر ومعارضته يوم صلح الحديبية، وعلى الجنود أن لا يشقوا عصا الطاعة حين يجزم القائد أمره.

هذا درس كبير من دروس السيرة النبوية، ما أحرانا اليوم أن نذكره قادة وجنوداً، والدعوة تمرُّ في أخطر مراحلها، والشبه كبير بين ظروفها الحاضرة وبين ظروفها يوم صلح الحديبية، وصلى الله على القائد الأكبر الذي قال ﷺ فيه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾.

❁ ❁
❁

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة